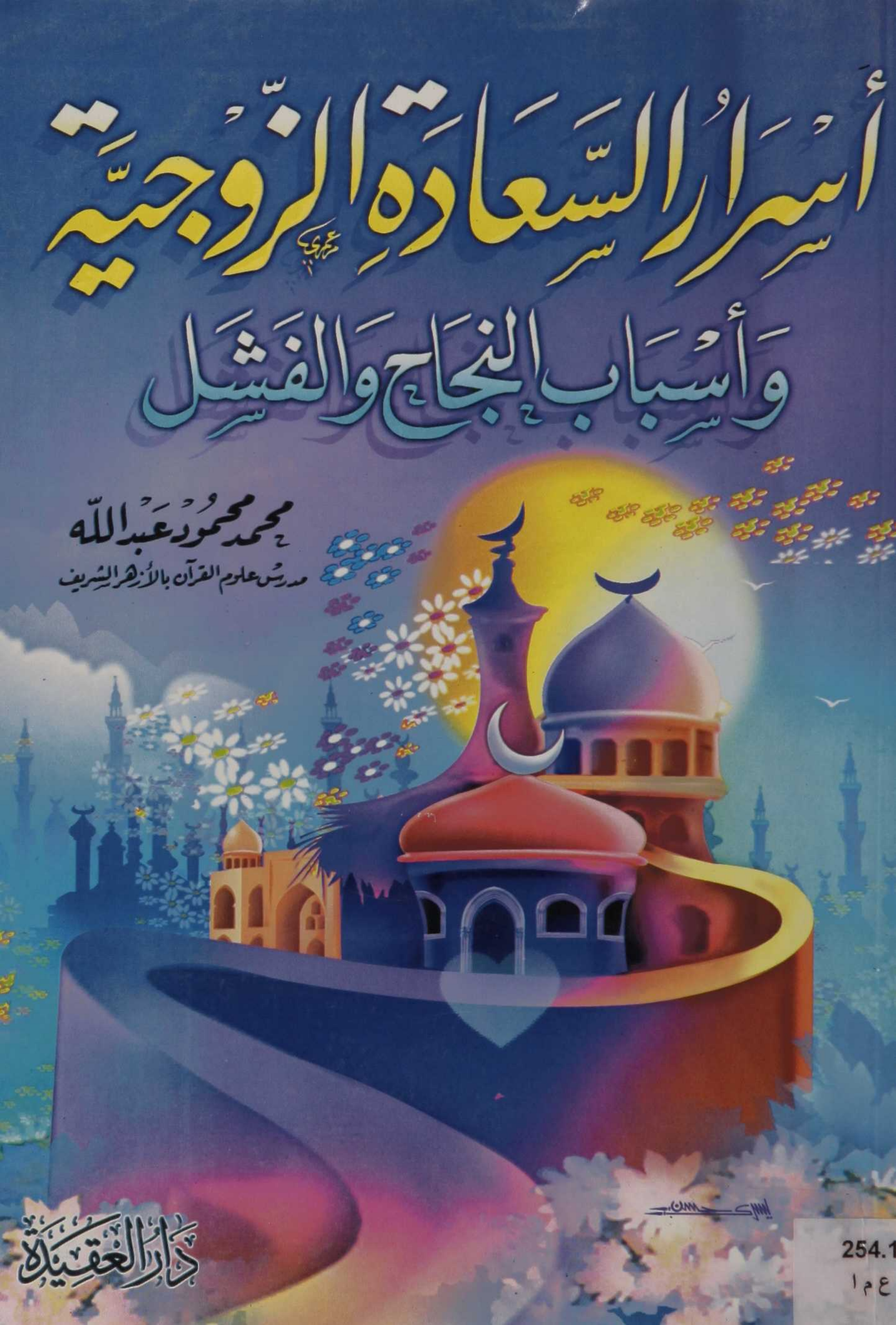


أسرار السعادة الزوجية
وأسباب النجاح والفشل
محمد محمود عبد الله
مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف
دار العقيدة
254.1
ع م ا

أسرار السعادة الزوجية

وأسباب النجاح والفشل

تأليف

محمد محمود عبد الله

مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف



الطبعة الثانية

٢٠٠٣ م - ١٤٢٣ هـ

رقم الإيداع: ١٦٨٣٤ / ٢٠٠٣



الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح - باكوس ت: ٥٧٤٧٣٢١ / ٠٣ فاكس: ٥٧٤٧٠٧٦ / ٠٣
القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ٥١٤٣١٧٤ / ٠٠٢٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات وسبحان من بيده خزائن الرحمات باسط الأرض ورافع السماوات: بقدرته أوجد الكائنات. وبحكمته خلق الأنفس بنين وبنات. لتتحقق الحكمة من إيجاد الخلق. وهى عبادة الخالق سبحانه: وعمارة الأرض. وحفظ السلالة. واستمرارية الخلافة. وتبارك المنزل على عبده ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم : ٢١) .

فى هذه الآية الكريمة أرسى الحق تعالى: قواعد العلاقات ونظم المعاملات بين الزوجين بموازين الدقة الربانية التى ما بعدها من دقة وهى ثلاث:

١ - **السكنى:** وهى الطمأنينة المطلقة. فإذا اطمئن كل من الزوجين للآخر تحققت الثقة التى هى لبنة البناء الأولى للبيت، ودعامة استقراره وسعادته.

٢ - **المودة:** وهى سر المحبة، ونسيج قوة الرابطة بين الزوجين الناشئة عن شدة التعلق وصدق الإخلاص، ولذا جاء فى الهدى النبوى الشريف قوله ﷺ : «**تزوجوا الودود الولود**»[1] وهى الزوجة الحنونة التى تنجب الأولاد على العكس من الزوجة الجحود الحمقاء غليظة القلب، قاسية الطبع فى عشرتها ومعاملاتها، وأن لا يقترن زوج بزوجة عاقر لا تلد: مجردة من الخصوبة، فإنه يتنافى مع تحقيق استقرار البيت وسعادته، وانتقاء قرة الأعين

---

(١) رواه أحمد والحاكم.

للأزواج التى هى المطلب الأســمى، والغاية الحسنى. فى ما جـاء من طيب دعاء عباد الرحمن حين وصفهم سبحانه بكريم الصفات وجميل الفعال.

إخباراً عن حالهم وبياناً لضراعة دعـائهم فى ساحة الرجاء ما حكاه القرآن العظيم عنهم فى سورة الفرقان قوله عز ثناؤه: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (الفرقان ٧٤).

ورحم اللّه تعالى الفاروق عمر بن الخطاب القائل: «والذى نفسى بيده إنى لأكره نفـسى على الجماع. بغـية أن يُخَرج الحقُ سبـحانه: نسمـة من ظهرى تُسبح بحمده وتذكره»[١].

وفيـه بيان أن الزواج ليس من أجل الشهـوة: وإنما لأهداف ساميـةٍ. ومُثُل عُليا أهمـها تسبـيح الخالق عز ثناؤه: فـإنَّ الغايةَ من إيجاد الخلق هىً عـبادةُ الخالق سبحانه: والزواج غاياته عدة: أهمها تحقيق قرة الأعين للأزواج.

ولا يغيب عن عاقل أن الصلاح فى الأرضِ وفى الأقـوال والأفعال هو سرُ الفلاح والسعادة فى الدنيا والآخرة لقوله سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٩٧).

وقد أرشد إلى ذلك الرسول الكريم ﷺ بقوله: «**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا امرأة صالحة**»[٢]. إشارة إلى أن من يرزق بزوجة صالحة. فقد رزق خير ما فى الدنيـا: وفى بيان الحقوق فى منهـجية التعامل بين الـزوجين قال الحق تعـالـى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(البقرة: ٢٢٨).

---

(١) القول المأثور.

(٢) أخرجه الحاكم والترمذي على رواية الإمام مسلم.

ولعلها درجة التكريم من الحق تعالى للرجال فى طبيعة التكوين والقدرة والطاقة على تحمل أعباء الحياة ومسئوليات رب البيت عن من يعولهم. وفى الآية انتفاء التعالى والتضاد.

فإن الزوجين مكملان لبعضهما وليسا ضدين.

٣ـ الرحمة بين الزوجين: وهى باختصار وإيجاز:

١ـ التجاوز عن الزلات.

٢ـ والرفق فى المعاملات.

بمعنى أن كلاً منهما يرحم الآخر، ويلتمس له العذر. فإنَّ الحياة الزوجية ليست تصيُداً للأخطاء. ولا تسلطاً، وفى بيان أحقية الولاية قال الحق تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤) وقد بيَّنا أنَّ الأفضلية هى فى طبيعة التكوين والتى منها القوامة، فإنَّ الرجل هو الذى يسعى لكسب الرزق. ولديه القدرة على مكابدة الحياة والتصدى لأصعب الأعمال والمهن على العكس من المرأة: ولذا أوصى رسول اللّه ﷺ بالنساء خيراً بقوله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم**»(١).

ومعنى: عوان عندكم: أى أسرى فى بيوتكم. وفيه بيان أن الزوجة ضعيفة محدودة القدرة. قليلة الحيلة.

وفى بيان الحب قال ﷺ: «**حبب لي من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة**».

وفى بيان الخيرية قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله. وأنا خيركم لأهلى**»(٢).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد.

(٢) أخرجه الإمام البخاري ومسلم.

فقد ثبت أنه ﷺ : «كان لطيفاً مع جميع من يعاملهم وكان ألطف ما يكون في بيته»[1].

وهذا ما أنعم الحق تعالى به ونعم الخالق سبحانه لا تحصى.

وأسأله سبحانه أن ينفع به إنه قريب .. مجيب... وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن والعلم

محمد محمود عبد اللّه

مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف

---

(١) أخرجه الإمام البخاري ومسلم.

تمهيد للبحث

أولاً وقبل أن نتكلم عن مقومات السعادة الزوجية وكيفية تحصيلها نتكلم أولا عن الأهداف والمقاصد التى شرعها الإسلام وحث عليها لتتحقق بالزواج وهى نوعان :ـ

١ـ أهداف ومقاصد دنيوية.

٢ـ أهداف ومقاصد أخروية.

إليك الأهداف الدنيوية :ـ

١ـ حفظ النسل: (السلالة الإنسانية) وهو ما يعرف بالولد، فإن الخليقة مقهورة بالشهوة مرغمة عليها ليتحقق بها وجود النسل لقوله عز ثناؤه: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (السجدة: ٨) فبالتقاء الزوجين يتحقق وجود النسل وحفظ السلالة للجنس البشرى.

٢ـ استمرارية الخلافة: فكل جيل من السلالة يخلف ما قبله، فتستمر العمارة للأرض، ويقع الابتلاء للخلق، وهو الاختبار والامتحان لهم فى ما أتاهم اللّه تعالى، من فضل ونعم، أجحدوا بها، أم اخلصوا فى طاعته فأدوا حقها وشكرها، وبمقتضى النجاح فى الاختبار أو الرسوب، يكون مبدأ الثواب أو العقاب عند علام الغيوب لقوله عز شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ (الأنعام: ١٦٥).

٣ـ الأهلية: بمعنى أنه لا يتزوج إلا من كان أهلا لتحمل مسئولية وتبعات الزواج من مسكن وملبس وطعام وشراب ورعاية صحية واجتماعية، وإنفاق دون تقتير أو تبذير: وتربية سليمة على أسس قويمة بما يحقق حياة كريمة

لأسرة يحيطها الحب والوئام، والتفاهم والرحمة والاحترام، والأسرة هى الرعية الصغرى، والزوج راع والزوجة راعية، والأهلية درب الأنبياء ونهج خالق الأرض والسماء، فما أرسل الحق تعالى نبيا إلا ورعى الغنم، ليدربه على الرعاية للرعية، وما أرسل الحق تعالى رسولاً إلا وجعل له أزواجاً وذُرِّيَّة، فيما قرره التنزيل قول الحق عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨).

٤ـ الإحصان: فإنَّ الزواج فى الإسلام حصن ووقاية للزوجين من الشيطان ومجاهدة للنفس ومرضاة للرب عز شأنه، وبه كسر التوقان، وقهر غوائل الشهوة، فيسلم به المسلم من الوقوع فى المهلكات، وتسلم الذرية من الأوبئة والآفات، فيقوى البنيان، وتكتمل الأركان: ويزداد الإيمان فتتحقق السعادة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (يونس: ٢٦).

ولكل مسلم يسير على نهج اللّه القويم فى كل مكان يذكر فيه اسم اللّه العظيم دل على ذلك قول الحق عز ثناؤه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧).

لذا أمر الحق تعالى: أحبابه المؤمنين بالزواج بقوله سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ (النور: ٣٢) فهو الإحصان لثبات الإيمان، والطهر للذرية من دنس الشيطان، لأنه لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن: ولا يغيب عناً أنَّ الزواج فى الإسلام هو العلاقة الشرعية، ضد سفاح الجاهلية، فيما قرره التنزيل قول الحق سبحانه: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (المائدة: ٥).

فالنكاح بغير شرع اللّه عز وجل، سفاح (الزنا) فيما كانوا يفعلون بجاهليتهم، يتخذون خدن، والخدن هو العشيق الذى يلتقى بالزانية سرا فى

الخفاء: تغيب عنه عيون الخلق: ولم تغبْ عنه عيون الحق فى السماء وهل رفع الحق تعالى: قدر الصديقة مريم عليها السلام: وخلَّد ذكرها قرآناً يتلى: إلا بإحصانها لفرجها خوفاً وإجلالاً لعظمة ربها فيما حكاه عنها القرآن قوله سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ (التحريم: ١٢).

٥ـ **قرة للعين:** وهى فرحة القلب، ومسرة النفس، وانشراح الصدر، وسعادة الروح، عند وقوع البصر بالنظر إلى ما يحبه الإنسان ويتمناه، وتتحقق قرة العين للزوجين الصالحين: بنظر كل منهما إلى الآخر، وتتحقق لهما معاً بسعادة فائقة ما بعدها من سعادة بالنظر إلى أولادهما صغاراً كانوا أو كباراً فى حركاتهم وسكناتهم غدوهم ورواحهم لأنه لو أن الابن يعلم ما له من حب ومعزة فى قلب أبيه لوقف آدم من ترابه يبحث ويسأل أين أباه فالأولاد فلذات الأكباد على الأرض تمشى أى أرقى وأغلى ما فرزت الأكباد من الدماء فى الإنسان تتكون منها نطاف الأبناء حال تكوينها لذا جاء فى دعاء عباد الرحمن عز شأنه ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤).



ثانياً: الأهداف والمقاصد الأخروية للـزواج فى الإسـلام

١ـ موافقة محبة الله تعالى: بالسعى فى تحصيل ما يريد لأنه سبحانه هو السيد الخالق والمالك للكون وما فيه أعد السيد للعبد أرضاً ممهدة ومهيأة للحراثة ما على العبد إلا أن يجتهد فى الحراثة متى كان قادرا لإبقاء النسل وحفظ السلالة البشرية فالمرأة بمثابة الأرض الخصبة والزوج بمثابة الفلاح الماهر فى حراثتها وبحسب جودة الحراثة تكون جودة إنبات الزرع ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣) وكأن الحق سبحانه وكل إلى الفحل (الزوج) بإخراج البذر: ووكل إلى الأنثى (الزوجة) بالتمكين من الحرث، وبالوقاع ينبت الولد ويكون الثمر من نوع الشجر، والجزاء من جنس العمل وليست القدرة الإلهية عاجزة عن الإتيان بالأشخاص وإيجادها بدون حراثة وازدواج ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها إظهاراً للقدرة وإتماماً لعجائب صنعته سبحانه وتحقيقاً لما سبقت به المشيئة أزلاً وحقت به الكلمة. وجرى به القلم فيما كتب من المقادير . . . ومحبة اللّه تعالى تقع للعبد بطاعته إياه، وذلك بالقيام على سنته سبحانه فى الخلق، فبتجانس الأزواج تنبت الذرية وبإنبات الذرية بقاء السلالة البشرية واستمرارية الخلافة وتحقيق العبادة التى هى حكمة إيجاد الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦).

والعبادة قربى إلى اللّه تعالى، وتبتل وضراعة وتوسل وتسبيح بحمده وتقديس لذاته وتأمل فى عظمة صنع من أوجد الكائنات والتسبيح والذكر غاية كل نسمة فى الوجود أى لأجله وجدت الأنفس والمخلوقات وأنشأت الأجنَّة فى بطون الأمهات: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).

والعبادة درب الناسكين ومفتاح طريق السالكين وسبب حب رب العالمين ولأجلها وجدت العوالم والملكوتات وبسطت الأرض ورفعت السموات وهى حياة كل ذى روح والجمادات: ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** ﴾ (مريم: ٩٣). ورحم اللّه تعالى الفاروق عمر بن الخطاب يوم أن قال: «والذى نفسى بيده إنى لأكره نفسى على الجماع بغية أن يخرج الحق تعالى من ظهرى نسمة تسبح بحمده وتذكره» ولعل هذه هى الحكمة الإلهية فى الزواج إذ به حفظ النسل وإخراج النسمات التى تسبح بحمد خالق الأرض والسموات عز شأنه وتذكره والذكر يستوجب حب الرب سبحانه للعبد لأنه أعلى مراتب القرب﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ (البقرة: ١٥٢). وهو مفتاح الطاعة وأفضل قول فيها لقول الحبيب المصطفى ﷺ : «**أفضل ما قلت والنبيون من قبلي لا إله إلا اللّه**»[1]. وهو مقام المجالسة مع اللّه عز وجل، لما جاء فى الحديث القدسى قوله عز شأنه: «**من ذكرني ذكرته، ومن أتاني لقيته من بعيد، ومن أراد مرادي أردت ما يريد، ومن تحصن بحولي وقوتي ألنت له الحديد، أهل ذكري أهل مجالستى، وأهل طاعتى أهل محبتى، وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى**».

وورد فى الأثر أن رجلاً كان يصلى فكان يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ (الإخلاص).

فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: «**سلوه لماذا يصلي بها فى كل مرة؟**».

فقال الرجل: إنى أحبها لأنها صفة اللّه عز وجل فقال الرسول ﷺ «**أخبروه أن اللّه تعالى يُحبه**».

وحب اللّه تعالى للعبد يستوجب مغفرته له ﴿ **هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ** ﴾ (المدثر: ٥٦).

والمغفرة أمر يتعلق بالآخرة ولا يتحقق إلا فيها.

---

(١) أخرجه الإمام البخارى ومسلم.

٢ـ طلب محبــة رسـول الله ﷺ بالقيـام على سنتـه بالسعى فى تحقيق ما يباهى به الأمم يوم القيامة: وهو الكثرة والزيادة فى أبناء وذرية المسلمين بالزواج وبه أيضاً زيادة الموحـدين لأن الأمة المحمـدية تكون لها سمـة مميزة يوم القيـامة تميزها على سـائر الأمم وهى غراً مـحجلين من أثر الوضوء، والـوجوه تعلوها نضرة نور سمة السجود ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (الفتح: ٢٩).

لما ورد من أنه ﷺ ينادى فى الحشر الأكبر، أنا النبى الهادى صاحب الحوض المورود وأوراده أحـبابى، وأحـبـاب النبى ﷺ هم الذين على وجـوههم أثر السـجود وعلى الأمـة. زيادة الموحـدين، الراكـعين السـاجـدين، من المؤمنين المخلصين لـربهم بالطاعة فى عبـاداتهم الذين قدّمـوا فى الدنيا بأعـمالهم، من الأعمال الصالحة ما يباهى به الأمم يوم القيامة نبيهم ﷺ: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٦، ١٠٧).

فهو القائل ﷺ: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»**[1]

وفى رواية لهذا الحديث: **«فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»**[2].

وقال ﷺ: **«النكاح سنتي. فمن أحب فطرتي. فليستن بسنتي»**[3]

وقوله ﷺ: **«يا معـشر الشـباب من اسـتطاع منكم البـاءة فليتـزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**[4].

وللمداومة على القيام بسنته ﷺ، حبب ورغب المسلمين بأحب الأشياء إليه فى الدنيـا فقال ﷺ: **«حبـب لي من دنياكم ثلاث: الطيب، والنسـاء، وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[5].

---

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه أبو داود.
(٣) أخرجه أبو يعلى من حديث ابن العباس رضي الله عنه.
(٤) أخرجه الإمام البخاري ومسلم – وجاء: أى وقاية.
(٥) رواه أحمد والنسائى.

والقيام على سنة رسول اللّه ﷺ يستوجب حبه لكل مسلم عمل بها، وسار على نهجه ﷺ فحقق بالزواج مكاثرة المسلمين، والمباهاة بهم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وحب الرسول ﷺ للمسلم يستوجب شفاعته له، والشفاعة أمر يتعلق بالآخرة ولا ينفع إلا فيها.

٣ـ دعاء الولد الصالح لوالديه: من الثابت أن الولد الصالح هو أكمل نعمة وأطيب ثمرة تنشأ عن الزواج فى الإسلام، إذ يكون فى الدنيا قرة العين وفى الآخرة بدعاءه يرحم اللّه تعالى الوالدين ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ٢٤) وهو أحد الدعامات الثلاث التى لا تنقطع بموت العبد فى حديث الرسول الأعظم محمد ﷺ : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ـ أو علم ينتفع به ـ أو ولد صالح يدعو له**»(١).

من الثابت أن الموت ليس نهاية ويخطئ كل الخطأ من يظن أو يعتقد أنَّ الموت نهاية إنما الموت بداية لأنَّه قضية انتقال من دار فناء إلى دار خلد، وبقاء لأنَّ الحياة البرزخية ثابتة بحديث الرسول ﷺ : «**القبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار**»(٢).

ولا يستفيد بنعيم رياض الجنة أو يعذب بجحيم الدركات إلا من كان حيا.

وأخطر ما فى الموت من قضية أن به انقطاع العمل لأجل ذلك سعادة الوالد أن يبقى بعده ولداً صالحاً يدعو له بعد انقطاع عمله من الدنيا بموته، والتبرك بدعاء الولد الصالح فإنه امتداد لأبيه ورحمة اللّه تعالى واقعة بالوالد لا محالة لما أمر الحق تعالى به الأبناء بالدعاء للآباء فى كتابه العزيز قوله سبحانه: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ (الإسراء: ٢٤).

---

(١) أخرجه الإمام مسلم والإمام أحمد.

(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي والحاكم.

والأمر الإلهى للوجوب وبتحقيق الدعاء من الأبناء نزول رحمة اللّه تعالى بالآباء لما ورد فى الخبر أن الأدعية تعرض على الموتى فى أطباق من نور. وقوله ﷺ : «**إنما يرحم اللّه تعالى الأموات بدعاء الأحياء**». **وقوله** ﷺ : «**استغفروا لأخيكم فإنه يسأل الآن**».

وقوله ﷺ حين مر على قبرين من مقابر المسلمين فقال على من بداخلهما: «**يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يشتغل بالنميمة بين الناس**» ثم أمر ﷺ بجريدة خضراء ثم قطعها نصفين ووضع على كل قبر منهما نصفاً ثم أردف ﷺ قائلاً: «**إنهما يستغفران لهما، ما لم ييبسا**». وهذا يؤكد ثبوت الحياة البرزخية فى القبر، وحصول الثواب للميت بالنعيم «**روضة من رياض الجنة**» أو العقاب بالعذاب الأليم «**حفرة من حفر النار**». كما يبين مدى حاجة الأموات إلى بر ودعاء الأحياء. وقد يقول قائل إن الولد بعد أبيه ربما لم يكن صالحاً؟.

والإجابة: أنَّ هذا لا يؤثر فيه، لأنه مؤمن والصلاح هو الغالب على أولاد المؤمنين ذوى الدين خاصة إذا كان ربَّاه على الفضائل والمكارم وأطعمه الحلال وأكرم مثواه فى تربيته وحمله على الصلاح.

وبالجملة فإنَّ دعاء المؤمن مفيد سواء كان باراً أو فاجرًا، فالوالد مثاب بدعوات ولده وحسناته، وغير مؤاخذ على زلاته وسيئاته لأنَّ الولد من كسب أبيه، وهو سبب وجوده وحياته، والحكمة الإلهية دقة فى مقتضى العدل ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**﴾ (فاطر:١٨). فلا نفس مؤاخذة بذنب أخرى ووزرها بل ﴿**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**﴾ (المدثر:٣٨).

وأيضاً يرفع الحق تعالى الأبناء إلى درجات الآباء الأعلى فى الجنات وكذا الآباء إلى درجات الأبناء الأعلى فى الجنات دون نقصان من أجر أحدهما وما وهبه اللّه تعالى من فضل شيئاً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ **ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ** ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ **عَمَلِهِم** مِّن شَيْءٍ﴾ (الطور: ٢١).

٤ـ موت الولد قبل أبيه شفاعة للأب: فقد روى عن رسول اللّه ﷺ : «**أنَّ الطفل يجر بأبويه إلى الجنة**». وفى خبر له ﷺ : «**يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك**». وقال ﷺ : «**لئن أقدم سقطاً خير لي من أن أخلف سبعين فارساً بعدي، يحملون السيف في سبيل اللّه عز وجل**». والسقط هو الولد الذى لم يكمل حمله، يسقط من أمه قبل موعده على غير العادة فى الميلاد المألوف.

ولعل هذا يرجع لفطانته ﷺ : وما علَّمه ربه من فيض علمه المكنون فى خزائن سره المأمون العلم الربانى الذى نزل عليه ﷺ ، مقترناً بالحكمة فى قوله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ﴾ (النساء: ١١٣). فإنه يعلم قدر فضل ما يدخره عند المليك عز شأنه: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران: ١٩٨).

وقوله ﷺ : «**إن المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على بابها ويقول لا أدخل الجنَّة إلا ومعي أبوى فيقال: أدخلوا أبويه معه الجنَّة**».

وفى الخبر: أنَّ الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب، فيقال للملائكة: اذهبوا بهؤلاء إلى الجنَّة، فيقفون على أبواب الجنَّة، فيقال لهم: مرحباً بذرارى المسلمين، ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون وأين أباؤنا وأمهاتنا؟ فتقول لهم الخزنة. إنَّ أباءكم وأمهاتكم ليسوا مثلكم، إنه كانت لهم ذنوب وسيئات، فهم يحاسبون عليها ويطالبون بها. قال: فيتضاعفون ويضجون على أبواب الجنَّة ضجة واحدة: فيقول الحق سبحانه وهو أعلم بهم: ما هذا؟ .

فتقول الملائكة سبحانك ربنا، أطفال المسلمين قالوا لن ندخل الجنة إلا مع آبائنا: فيقول الله تعالى: تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم فأدخلوهم الجنة.

وقــال ﷺ : **«من مــات له اثنان من الولـد، فـقــد احـتظر بـحظار من النار»**[١].

وقال ﷺ : **«من مات له ثلاثة، لم يبلغـوا الحنث، أدخله اللّه تعالى الجنة بفضل رحمته إياهم. قالوا: واثنان يا رسول اللّه: قال ﷺ : واثنان»**[٢].

٥ـ **عون على الآخرة:** ما من مسلم فقهه اللّه عز ثناؤه فى الدين، وزهده فى الدنيا وبصره بعـيوب نفسه، إلا ويعلم أن الزوجة الصالحـة هى خير عون له على آخرته، لحديث رسول اللّه ﷺ : **«ليتخـذ أحدكم قلباً شاكـراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على أخرته»**[٣].

والزواج رعاية وولاية وقيام بحقوق الأهل، والصـبر على أخلاقهن واحتمال الأذى فيهن والسـعى فى إصلاحهن وإرشادهن إلى طريق الدين والاجـتهاد فى كسب الحـلال لأجل أولاده وهذه جميـعاً أعمال عظيـمة تحقق الأجـر والثواب عليها من اللّه عز وجل، فـفى الحديث الصحيح قوله ﷺ : **«ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر في اللقمة يرفعها إلى فم امرأته»**[٤].

والسعى على الرزق من حلال مغفرة للذنوب لقوله ﷺ : **«من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له»**[٥].

والزوجة الصالحة هى حـسنة الدنيا والآخرة: إذ بها صلاحهـما معاً ﴿رَبَّنَا آتنا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (البقرة: ٢٠١).

وهى العون على دفع الشرور والوقاية من الوقوع فى المحظور

---

(١) اخرجه النسائي وابن حبان.
(٢) أخرجه أبو داود.
(٣) اخرجه أبو نعيم والحاكم.
(٤) اخرجه الإمام البخاري ومسلم.
(٥) اخرجه الإمام أحمد والترمذي.

وفيها الغنى والعفاف والحصن والكفاف ومن وجد من يدفع عنه الشرور سلم من البوار والثبور وطاب عيشه وحسنت عبادته وثبت أجره وثوابه.

ومما يسعد به المؤمن أن الإسلام قد ارتفع بالناحية الجنسية إلى مستوى مرتبة العبادة الصالحة فجعل بإتيان الرجل زوجته صدقة، وله عليه أجر من اللّه عز وجل، وروى أبو ذر أنَّ أناساً من الصحابة قالوا للنبى ﷺ: يا رسول اللّه، ذهب أهل الدثور بالأجور يُصلُّون كما نُصلَي ويصُومُون كما نُصومُ ويتصدقون بفضول أموالهم قال ﷺ: **«أو ليس قد جعل اللّه تعالى ما تصَّدقون أن بكل تسبيحة صدقة وبكل تهليلة صدقة وفي بضع أحدكم صدقة»**.

قالوا يا رسول اللّه: أيأتى أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال ﷺ: **«أرأيتم إنْ وضعها في حرام أعليه وزر؟»** قالوا: نعم. قال ﷺ: **«وكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر»**(١).



(١) أخرجه الإمام البخاري ومسلم.

ثالثاً: مقومات السعادة الزوجية

١ - الديـن:

جاء فى الهدى النبوى الشريف الدين فى المرتبة الأولى عند الاختيار فى كلا الزوجين ففى اختيار الزوج قال ﷺ : «**إن جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

وفى اختيار الزوجة قال ﷺ : «**تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١]

والمعنى: إن لم تفز بذات الدين ملئت يداك تراباً ولو أنك متزوج بأجمل وأغنى وأحسب ما فى الأرض لأن الدين هو أصل كل صلاح فى الوجود وهو العون والمدد على العبادة الصادقة الصحيحة للّه تعالى فى الدنيا بما يستوجب الفوز فى الآخرة والنجاة يوم الفزع الأكبر يوم ﴿**يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾ (القيامة: ١٣).

وقال ﷺ : «**الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا امرأة صالحة**»[٢].

ولا يتحقق صلاح المرأة إلا إذا كانت ذات دين، وقد أمر ﷺ بحسن الاختيار فى الزوجين بقوله: «**تخيروا لنطفكم فأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم**».

ومن أهم دعائم تحقيق السعادة الزوجية أن تكون الزوجة ودودة، ولودة، ليست جحودة ولا عقيمة لا تلد فإنَّ جحود المرأة يُورِّث الكراهية والتنافر بين الزوجين فقال ﷺ : «**تزوجوا الودود الولود**».

---

(١) متفق عليه.

(٢) الحاكم والدارقطنى رواية الإمام مسلم.

وقد اقتضت حكمة الله عز وجل وجود المودة والرحمة بين الزوجين منذ بدء الخليقة في قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

والسكنى: بمعنى أن يطمئن كل منهما إلى الآخر، وبهذه الدعامات السامية السكنى والمودة والرحمة تتحقق السعادة الزوجية التى ما بعدها من سعادة.

٢ـ الأمانة: هى يقظة الضمير الأخلاقى فيما بين العبد وربه. بمعنى أنه يكون دائماً متيقن أنَّه إذا نامت كل العيون: فالحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وهى صفة يتحلى بها الأبرار، فينالون بها درجات القرب من العزيز الغفار فى علا درجات الجنات ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ (إبراهيم: ٤٨).

وهى عرض الله عز ثناؤه الأكبر الذى أبت السموات والأرض والجبال أن تحمله وأشفقت منه رهبة وخشية جلال الله وحذراً من ضياعها وحمله الإنسان ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب: ٧٢).

ظلوماً لنفسه بحملها، جهولاً بسوء عاقبته وعقابه على ضياعها.

وبالأمانة: تتحقق الثقة بين الزوجين والثقة تعنى الاستقرار النفسى والروحى فإذا كانت الأمانة صفة الزوجين بلغت السعادة ذروتها ونالت الأسرة علو مكانتها. وصلحت الذرية وتحققت السعادة الأبدية دنيا وآخرة. وكفى بالأمانة فخراً أنَّ الرسولَ ﷺ جعلها الإيمان كله بقوله ﷺ: **«لا إيمان لمن لا أمانة له»**.

٣ـ الإخلاص: هو درب الصديقين، ونسك العابدين، وسبيل الموحدين، وهو سر سعادة المحبين، فإنَّه يعنى خلو بيت الحياة الزوجية من الغش والخداع والنفاق، وهو بمثابة نقاء وصفاء العلاقة الزوجية بين الزوجين بمواجهة الحقائق ووضع الأمور فى نصابها والعمل على حل مشكلاتها دون تدليس أو تزييف أو مراوغة أو تأخير فإذا تحقق الإخلاص نالت الأسرة الخلاص من كل كد

ونكد يعكر صـفو حيـاتها وهو يعنى الصراحـة المطلقة بين الزوجـين والوضوح وهل نجا الصديق يوسف عليه السلام من كيد زليخة إلا بإخلاصه لربه سبحانه: ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (يوسف: ٢٤) فالإخلاص هو سر خلاص المحبين والأخذ بهم الى بيت سعيد قويم.

٤- **حسن الخلق**: هو التـحلي بكريم الصـفات، وطيب الأقـوال والأفعـال وصفـوة الفضائل فى السلوك والخـصال وهو يعنى لين الجـانب بين الزوجين بعيداً عن الغلظة والقـسوة والتعالى والمكابرة بما يحقق الألفـة والمودة والرحمة فيتجاوز كل منهما عن هفوات أخيه ويلتمس له العذر فى التقصير والمغفرة فى الإسـاءة وهو بمثابة الرفـعـة عن ردئ الأفعـال وبذاءة اللسـان وكفـران النعم وفحش القول وسـوء العمل. ولا يغيب عنَّا أنَّ حُسن الخلق هو سمـة الأنبياء ودرب من صعدوا الى السمـاء وهو باب القبـول وسفينة الوصـول وفيه قـال خير رسـول ﷺ : «**البر حُسنُ الخُلُقُ**».

وبه مدح الحق تعالى سيد الخلق سيـدنا محمد ﷺ فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤).

واذا أمـعنا النظر بعناية فى كلمـة البر لوجـدنا أنهـا جامـعة لشـتى صنوف الفـضائل والمكارم فى الصـفات والأقـوال والأفـعال والخلق الحـسن الكريم هو حكمة بعـثة الصادق الأمـين محمـد ﷺ فى قوله: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» فكأن الحكمة من البعثة تتمة مكارم الأخلاق على الرغم من عمومية الرسالة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ: ١٠٧) وعالميتها ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

دلالة على أن حسن الخلق هو أعلى مراتب الفضـائل والمكارم فإذا ما ساد بين الزوجيـن تحققت لهـما السعـادة الباهرة وصلحت لهـما الدنيـا والآخرة ويقصد بها قوة درجة التعلق فى الزوجين ببعضهما البعض بمعنى أنه لا يتزوج

زوج بزوجة تفرض عليه دون اختيار منه أو إرادة فى زواج ينتهى بالفشل ويعلل الأسباب بقوله: إننى لم أخترها وإنما أمى وأبى أو أختى الكبيرة وما شابه ذلك فهذا هو الخطأ الأكبر والعذر الأقبح من الذنب، بل يجب على الزوجين أن يختار كلاهما الآخر بمحض إرادته وأن يسبق الزواج التعلق الروحى والوجدانى وهو ما أقصد به قوة الرابطة بمعنى أن يكونا روحاً واحدة فى جسدين وحب ينبض فى قلبين فإذا كان هذا هو حال السادة تحققت لهم السعادة فيها حسنى وزيادة ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦).

٦ـ الثقافة الدينية والجنسية: الثقافة الدينية تعنى فهم الزوجان لدينهما ومعرفة حدود اللّه عز وجل: والحرام والحلال والخبيث والطيب وحقوق الزوج على زوجته وحقوق الزوجة على زوجها أى يعرف كل منهما ماله وما عليه، تحت قاعدة قول الحق سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨). لأن الإسلام دين رحمة ومودة وسماحة ومحبة لا ضرر فيه ولا ضرار فإن الزوجين فيه مكملين وليسا ضدين: ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣٧). فإذا عرف كل منهما مكانته عند الآخر، وأين هو من الدين استقامت الحياة وسَعدَت الأسرة بطيب العيش الذى مراده تقوى اللّه عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

وقد بين الحق سبحانه للزوجين مقومات الحياة الطيبة في الدنيا وحسن الجزاء فى الآخرة بهذه الضوابط والمعايير فقال عز شأنه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

فنجد مقومات الحياة الطيبة فى الدنيا، وحسن الجزاء فى الآخرة هى عمل صالح زائد إيمان باللّه مبدع الأكوان زائد الإحسان فى كل شئ يساوى حياة

طيبة دنيا وآخرة ولا عجب فإنَّ الجزاء من جنس العمل والثمر من نوع الشجر لذا لزمت الثقافــة الدينية التى بمقتضــاها فهم الدين وفهم الحقــوق والواجبات التى تحقق المودة والرحمة وبالمودة والرحمة تكون السعادة والألفة والمحبة.

وقد أورد الهدىُ النبوى الشريف فى بيان الحقوق قوله ﷺ لعبد اللّه بن عمــرو بن العاص: «**يا عبــد اللّه ألم أخبــر أنك تصوم النهار وتــقوم الليل؟**» قال: بلى يا رســول اللّه. فقال ﷺ: «**لا تفعل صم وأفــطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً**».

فلا ينبغى لزوج أن يرهق نفسه فــى العبادة فوق العادة بما يؤدى إلى إتلاف طبيعة الفطــرة وحكمة فرضية الفرائض والأركان فــإن إجهاد النفس يؤدى إلى الضعف والتقاعس عن أداء حق الزوجة فى الجماع وكسب الرزق من الحلال. ونتــبين من الحــديث أن فطرة السنة المحمــدية تقتــضى الاعتــدال فى الأداء: والإتيــان بالأشــياء وضــدها بما يحــقق التــوازن بين العــبــادة وأداء الحقــوق والواجبات فالصوم ضده الفطر وهو غــذاء الجسد والأعضاء بالشراب والغذاء وفيه صحة الجسد والأعضاء بالشراب والــغذاء وفيه صحة الإنسان واستمرارية حياته وإيصال الصــوم الليل بالنهار فيه إنهاك الجســد وإتلافه وهلاكه وليست هذه هى الغاية من فــرضية العــبادة وإنما فرضــت العبادة لتــتحقق بهــا الطاعة المطلقة للّه تعــالى من العباد وكــذا فى القيام فإن ضــده النوم وبالنوم يستعــيد الجسد نشــاطه وتجدد خلاياه وتهدأ أعــصابه وهو ما يحقق الــقوة والجودة فى عمل الإنسان بعد يقظته سواء فى العبادة أو فى السعى لطلب الرزق.

فإن الحق تعالى حين كلف المؤمن بالتكاليف الشرعية، بين له ما فيه صلاح أمره بالدين. وما يحفظ له صحته بالتبين.

وفي الثالثة: وجوب حفظ المرأة نفسها بالتــعفف والاعتصام من الزنا أثناء غيــاب زوجها لأى ســبب من الأسباب تراقــب ربها فتــخشاه وترعى عــهده

وميثاقه الذى قطعته على نفسهـا فإن عقد الزواج هو أقدس عقد وأعظم عقد وأعظم ميثاق فى الأرض عند اللّه عـز وجل: وقد أوجب تطبيقه بين الأزواج كما تـوجب أيضاً حفظ الزوجة لمال زوجـها فلا تبديد ولا تبـذير ولا إسراف ولا تقتـير فإن التـقتيـر حرمان والإسـراف إتلاف: وجميـعها حـرام فوجب الاعتدال بأمانة.

وفي الرابعة: وجوب بر المرأة لزوجـها إن أقسم عـليها لا تفـعل شيئـاً ما وبرها يكون بالامـتناع فلا يقع يمين الزوج ويحنـث مما يعرض البيت والحـياة الزوجية إلى الانهيار والضياع وشـتان بين الزوجات الأبرار والمعاندات الفجار ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ (النساء: ٣٤).

وقد قرر التنزيـل رفع الضرر عن الزوجات عند طاعتـهن لأزواجهن، فلا بغى عليهن مع الطاعة بقوله سبحانه: ﴿**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً**﴾ (النساء: ٣٤). كمـا بيَّنت السنة المطهرة استحبـاب معاونة الرجل زوجـته فى شئون البـيت إذا لزم الأمر لأن مبدأ المعـاشرة يقوم على المودة والرحـمة فإذا وجد الزوج من العمل ما هو فوق طاقة الزوجة وما لم تستطع تأديته فى وقت محدود، ولدى الزوج الفـراغ والوقت، فليس بعيب ولا ينقص هذا من قدره شيئاً أنْ يعاون زوجته ويساعدها فى عمل البيت، ولدينا القدوة والمثل الأعلى والأسوة الحسنة فى رسـول اللّه ﷺ، سيد الخلق وحبـيب الحق عز شأنه، نقطف من شمـائله ثماراً يقتدى بهـا ويسعد الأبرار، فعن أم المؤمنيـن السيدة عائشة رضـى اللّه عنها قالت: كان رسـول اللّه ﷺ يكون فى مهنة أهله. تعنى فى خدمـتهم ـ فـإذا حضرت الصـلاة خرج إلى الصلاة وأخـرج الإمام أحمد وابـن حبان من رواية هشام بن عـروة عن أبيه قال: قلت لعائـشة: ما كان يصنع رسول الـلّه ﷺ فى بيته؟ قالت: «كان يخـيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم». وفى رواية الزهرى عن عروة عن عائشة: «يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويرفع دلوه».

وفى رواية له من طريق معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد، عن عروة عن عائشة بلفظ: «ما كان إلا بشراً من البشر، يرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه».

فمعاونة الزوج أهله، قمة العظمة لما له من أثر الرحمة والقرب بين الأزواج بالمودة والألفة وقوة الرابطة والمحبة، وكفى به فخر أنه نهج رسول اللّه ﷺ ودربه القويم، وشمائله وخلقه العظيم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

والراحمون يرحمهم الرحمن عز شأنه.

وفى بيان ما يخص المرأة ويحقق سعادتها دنيا وآخرة حددها رسول اللّه ﷺ فى ثلاثة أفعال بقوله: «**إذا صلت المرأة خمسها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها. دخلت من أي أبواب الجنة شاءت**». (بعلها: أى زوجها).

وفي هذه الثلاثة سعادة زوجية وأبدية:

١- إذا صلت الصلوات الخمس المكتوبة.

٢- وتحصن فرجها فتعف عن الزنا وتستغنى بالحلال خشية من الجبار. ترجو رحمته وثوابه: وتخاف سطوته وعقابه.

٣- وإطاعة زوجها (بعلها) والطاعة تكون كما بينّا فيما أحل اللّه تعالى: بعيدة عن محارمه. فإذا كانت هذه الثلاثة هى صفات المرأة ونهج سلوكها فى حياتها الدنيا: فتحت لها أبواب الجنة الثمانية فتدخل من أى باب شاءت ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ (ص: ٥٠).

صفات الزوجة الصالحة:

الصفات التى يطيب بها العيش ولابد من مراعاتها فى المرأة ليدوم معها الزواج وتتحقق مقاصده ثمانية وهى على الترتيب :ـ

(الدين، والخُلقُ، والحُسنُ وخِفةُ المهر، والبكارة، والولادة، والنسب، وأن لا تكون قرابة قريبة).

فالأول: أن تكون صالحة ذات دين هو الأصل وبه ينبغى أن يقع الاختيار فإنها إن كانت ضعيفة الدين كانت ضعيفة فى صيانة نفسها وفرجها وإن كانت هكذا أزرت بزوجها وسودت بين الناس وجهه وشوشت الغيرة قلبه ونغصت عيشه. أما إن كانت ذات دين صالحة فهى محصنة عفيفة فى نفسها وفرجها تتقى اللّه تعالى فى قولها وفعلها أمينة مع اللّه تعالى أمينة مع نفسها مخلصة لزوجها تراعى حقه وتصون عرضه وتحفظ ماله وتربى أولادها على طهر وعفاف.

ثانياً: حسن الخلق وهو أصل أيضاً وبه تتم الاستعانة على الدين فإنها إن كانت سليطة اللسان بذيئة القول سيئة الخلق كافرة للنعم كان ضررها أكثر من نفعها ومن الثابت أن الصبر على ضرر النساء مما يمتحن به الأولياء. ومن الثابت أيضاً أن المنهى عن نكاحهن من النساء ست إليك بيانهن على الترتيب:

(لا تنكحوا من النساء: الأنانة، ولا المنانة، ولا الحنانة، ولا الحداقة، ولا البراقة، ولا الشداقة).

واليك الشـرح والبيان:

الأنانـة: هى التى تكثر الأنين والشكوى وتعصب رأسـها كل ساعة ونكاح المتمارضة ليس فيه خير.

٢- **المنانـة:** هى التى تمتن على زوجها وتقول فعلت لك كذا وكذا.

٣- **الحنانة:** هى التى تحن إلى زوج سـابـق أو إلى ولد من زوج سـابق وهذا جمـيعـه مما يجب اجتنابه لصـفاء العـيش وتحقيق القـدر الذى يفى بسعادة الزوجـين. ومعلوم أن السعادة أمر نسـبى أى تختلف فى شخص عنها فى الآخر.

٤- **الحداقة:** هى التى تحدق بحدقـة عينيها فى كل شئ فتشتـهيه مما يكلف الزوج ما لا يطيق، تريد كل شئ تشتهى كل شئ دون تمييز أو قناعة.

٤- **البراقة:** تحمل معنيين

أولهما: أن تقضى نهارها فـى صقل وجهها وتزينه بما يجـعله يبرق ملفت للأنظار والعجب وهى فتنة.

وثانيهما: أن تغضب عن الطعام فلا تأكل إلا وحـدها. وهذه لغة يمانية: ومنها برق الصبى أى غضب على الطعام وامتنع.

٥ - **والشداقة:** هى الكثيرة الكلام، فيما لا فائدة فيه، ومنه قول رسول الله ﷺ : **«إن الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين»**[١].

وروى أن السائح لقى إلياس عليـه السلام فى سياحته فأمـره بالتزوج ونهاه عن التـبتل ثم قـال له لا تنكح أربعاً من النســاء المختلعـة والمبارية والعـاهرة والناشز وإليك بيانها:

(١) أخرجه الترمذي من حديث جابر عن عبد الله ﷺ.

١ـ **المختلعة:** هى التى تطلب الخلع عن زوجها كل ساعة وبغير سبب.

٢ـ **والمبارية:** هى المباهية التى تفاخر بغيرها وتتمسك بأسباب الدنيا وزينتها وزخارفها.

٣ـ **العاهرة:** هى الفاجرة التى تتخذ خدن وهو العشيق الخفى فهذه فاسقة وقد أمر الحق تعالى باجتناب هذا الصنف من النساء فقال سبحانه: ﴿ **مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** ﴾ (النساء: ٢٥).

٤ـ **الناشز:** هى التى تتعالى على الزوج فى المقال والأفعال، والنشز هو التعالى من الأرض.

وكان الإمام على كرم اللّه وجهه يقول: شر خصال الرجال. خير خصال النساء. وشر خصال الرجال هذه هى البخل والزهو والجبن. فإن المرأة إذا كانت بخيلة حفظت مال زوجها فلم تبدد. وإذا كانت مزهوة تعتز بنفسها. استنكفت أن تكلم أحد بكلام لين مريب. وإن كانت جبانة. فرقت لعرضها وحفاظاً على كرامة أهلها وزوجها. ورعاية لميثاق اللّه سبحانه. وعهده المقدس الذى عقده الزوجان على نفسيهما فهى تخاف من كل ما يخدش كيان هذا الرباط الأقدس المعظم وصدق الحق إذ يقول: ﴿ **وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا** ﴾ (النساء: ٢١).

فدائماً تجتنب مواضع التهم والشبه عملاً بقول رسول الإنسانية سيدنا محمد ﷺ : «**فمن اتق الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه**» .

ثالثاً: حسن الوجه به، تتم العفة والتحصن، والغالب أن حسن الخَلْق والُخُلق لا يفترقان، وبهما يتم الاكتفاء والقناعة، ولأنَّ الطبع البشرى ينفر من الذميمة، وما نقلنا عن نكاح ذات الدين، فإنه لا ينافى نكاح الجميلة، وإنما القصد منه، الحصن عن النكاح لأجل الجمال فإنَّ الجمالَ بغير جمال الُخُلق يؤدى إلى فساد الدين، والجمال وحده يرغب فى نكاح المرأة الجميلة دون النظر إلى خُلُقِها مما يهون الدين ولذا ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة،

ولذلك يستحب النظر . قال ﷺ : «**إذا أوقع الله تعالى في نفس أحدكم من امرأة: فلينظر إليها: فإنه أحرى أنْ يُؤدم بينهما: أي يؤلف بينهما**» .

وقال الأعمش: كل زواج يتم على غير نظر آخره هم وغم .

ومعلوم أن النظر لا يتم به معرفة الخُلُق والدين وإنما يُعرف به الجمال من القبح .

ومن مقومات استمرارية الحياة الزوجية والألفة بين الزوجين:

عدم التغرير فلا يخدع كل منهما الآخر فيغير طبيعته بجمال مصطنع، ثم بعد الزواج تظهر الحقائق: فتدب الخلافات التى تزعج الأحباب وتحقق شماتة الأعداء وقد ينتهى المطاف بالانفصال (الطلاق) .

وقد رُوى أنَّ رجلاً تزوج فى عهد الفاروق عمر رضى الله عنه، وكان قد خضَّب[1] ، ونصل خضابه[2]، فأخذه أهل المرأة إلى عمر، وقالوا حسبناه شاباً، فأوجعه عمر قولاً وضرباً، وقال له: غررت[3] بالقوم .

وروى أن بلالاً وصهيباً أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم . فقيل لهما من أنتما؟ فقال بلال: أنا بلال وهذا أخى صهيب، كنا ضَالِّين فهدانا الله . وكنا مملوكين فأعتقنا الله . وكنا عائلَين فأغنانا الله . فإن تزوجانا فالحمد لله . وإن تردانا فسبحان الله . فقالوا بل تزوجان والحمد لله . فقال صهيب لبلال أولا ذكرت لهم مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ . فقال بلال: اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق . فطوبى لأهل الصدق والصديقين ﴿**وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ (النساء:٦٩) ومن الثابت أن الصدق يهدى إلى البر وأن البر يهدى إلى الجنة . (ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً) .

---

[1] خضب: غير لونه .
[2] نصل خضابه: أي زال وعاد لأصله .
[3] غررت : أي خدعت وضللت .

رابعاً: أن تكون خفيفة المهر: قال رسول الله ﷺ: «**أقلهن مهراً أكثرهن بركة**» وقد أمهر بعض نسائه على عشرة دراهم. وأثاث بيت من: رحى يد وجرة. ووسادة من الليف. وأولم على بعض نسائه أيضاً وكان ﷺ: يجمع بين البساطة والزهد. وقد زوج سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضى اللّه عنه: بدرهمين. وحملها إليه ليلاً فأدخلها من الباب ثم انصرف هو. ثم جاءها بعد سبعة أيام فسلم عليها. وفى الخبر: من بركة المرأة سرعة تزويجها. وسرعة رحمها (أى ولادتها) ويسر مهرها. قال ﷺ: «**أبركهن: أقلهن مهراً**».

فلا ينبغى أن يقع النكاح طمعاً فى المال.

الخامسة: أن تكون المرأة ولوداً. فإنْ عُرِفَت بالعقم: فليمتنع عن تزوجها: لقوله ﷺ: «**عليكم بالودود الولود**» فإنْ لم يسبق لها زواج فيراعى صحتها وشبابها. فإنها تكون ولوداً بإذن اللّه تعالى فى الغالب. فإنَّ الصحة والنضارة: دلالة على الإخصاب بمشيئة اللّه تعالى وإرادته.

السادسة: أن تكون بكراً: قال ﷺ لجابر بن عبد اللّه، وقد نكح ثيباً: «**هلا بكراً تُلاعبها وتُلاعبُك**».

وفى البكارة ثلاث فوائد:

الأولى: فإنَّها تُحب زوجها وتألفُه: فيؤثر هذا فى معنى الود. والطباع فى الإنس أنها جُبِلَت على أولِ مألوف.

قال ﷺ: «**عليكم بالودود**».

والثانية: أن البكارة أكمل فى عدم النفرة: فإن الطبع فى الرجل أنه ينفر من التى مسَّها غيره. وهذا يثقل على الطبع البشرى، وتختلف حدة النفرة من شخص عنها فى الآخر.

الثالثة: أنها لا تحن إلى الزوج الأول ولا إلى ولد سابق: وهى أكمل فى الحب إذ يقع للحبيب الأول غالباً. وهذا لا يمنع أن يكون الحب والوفاء فى

الزواج الثانى أشـد وأكمل. ويتـحقق بحـسب مقتـضى الحال فى المعـاملات والفروقـات. فإن المرأة دائماً تحتـاج إلى الرفق والمحنَّة. وغالباً بقدر مـا تأخذ فإنها تُعطى أضـعافاً مضاعفـة لأنها كائن قابل للتغيـر، من يملأ الفراغ، هو حبيب القلب.

السابعة: أن تكون نسيبـة: أعنى أن تكون من أهل بيت ذا دين وصلاح، فإنَّهـا ستـربى بناتها وبنيـها على المكارم والفـضائل فـإنْ لم تكن ذات نسب مـؤدبة، فـإنَّهـا لن تُحـسن تربيـة الأبناء والبنات ولذا قـال ﷺ: «**إياكم وخضـراء الدمن**» قـالوا: وما خـضراء الـدمن يا رسول اللّه؟ قـال: «**المرأة الحسناء في المنبت السوء**».

الثامنة: أن لا تكون من القرابة القريبة، فـإن ذلك يؤدى إلى فتور الشهوة وتضعف السـلالة فى الذرية. مما ينشأ عنه ضـعف الذكاء فـغالباً مـا يحدث تشوهات خلقيـة وتخلفات عقلية مما يؤثر على الأسرة فالقـرابة القريبة، تنقل الأمراض الوراثية وتضعف الذرية قال ﷺ: «**لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوياً**» أى نحيفاً.

وقال ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق نزاع**».

وقال أبو سلمان الدارنى: الزهد فى كـل شئ حتى فى المرأة يتزوج الرجل العجوز إيثاراً للزهد فى الدنيا.

وقد كان مـالك بن دينار رحمه اللّه تعالى يقول: يتـرك أحدكم أن يتزوج يتيمـة فيؤجر فـيها، إن أطعمـها وكساها تكون خـفيفة المؤنة ترضى باليـسير فيتـركها ويتزوج بنت فـلان وفلان يعنى بنات الدنيا فـتشتهى عليـه الشهوات وتقول اكسنى مثل ما كان أبى كذا وكذا. وفى الـطعام فترهقه فى نفسه وماله وورد أن الإمام أحمد بن حنبل اختار عوراء على شقيقتها الجميلة الحسناء، إذ سأل من أعقلهما؟ قالوا: العوراء. فقال زوجونى إياها. فذهب بالعقل صيانة للدين: وهذا دأب من لم يقصد التمتع الدنيوى.

أما من لا يأمن على دينه ويخشى الوقوع فى الفتنة إن لم تكن له مستمتع أعنى زوجة جميلة تسد حاجته وتحقق عفافه فليطلب الجميلة الحسناء فإن التلذذ بالمباح فى الحلال أحصن للدين وأقوم لصيانة الدماء والأعراض وأقسط أن يقيم حدود اللّه عز وجل وهو من مقومات سلامة الدين والدنيا والنجاة من الهول بين يدى الجبار ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ (النبأ: ٤٠).

وقد قيل إن المرأة إذا كانت حسناء طيبة الأخلاق جميلة الصفات تكون محبَّةً لزوجها قاصرةُ طرفها عليه فهى على صورة الحور العين سوداء الحدقة والشعر واسعة العينين بيضاء اللون فإن اللّه تعالى وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفات فقال سبحانه: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (الرحمن: ٧٠).

والمراد بالخيرات الحسان أى حسنُوات بديعات الجمال.

الأخلاق:

وفى صفات نساء أهل الجنَّة أيضاً قوله عز شأنه: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ (الواقعة: ٣٧).

والعروب: هى شديدة العشق لزوجها، المشتهية للوقاع به، وبه تتم اللذة.

والحور: هو البياض والحوراء شديدة البياض شديدة سواد العين واسعة العينين وحور العين هو ما يجمع شدة البياض والسواد فى العين فى آن واحد ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (الرحمن: ٧٢).

هكذا وصفهن الحق تعالى:

وكان الفاروق عمر ﷺ ينهى عن المغالاة فى الصداق (المهر) ويقول ما تزوج رسول اللّه ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربعمائة درهم. وقد تزوج بعض أصحاب رسول اللّه ﷺ على وزن نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم.

شـروط صحــة العقـد:

العقد: هو ميثاق اللّه تعالى الغليظ المقدس قال اللّه تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (النساء: ٢١).

والأصل فيه الإيجـاب والقبول وهما شرطا صـحة العقد ويتحـقق انعقاده بأربعة أشياء هى:

١ـ إذن ولى الأمر: فإن لم يوجد فالحاكم (القاضى).

٢ـ رضا المرأة وهو نوعان:

ـ البكر: تستأذن وإذنها صماتها فإن الصمت دليل الرضا.

ـ والثيب: تسـتأذن وإذنها رضاها صراحـة دون إكراه أى تتزوج بموافقـتها وبمحض إرادتها فلا ترغم على زوج لا تريده ولا تعنف ولا تجبر وإنما بمحض اختيارها المطلق.

ـ وبوجود شاهدين عدل رجال يقران.

ـ بإيجاب وقـبول صـريحين من الزوجـة بلفظ النكاح أو التزويج يـقر به شخصان مكلفان رجلان ليس فيهما إلا العدل والأمانة.

آداب العقـد:

١ـ من آداب العقـد فى الإسلام تقديم الخِطْبَـةُ مع ولى الأمر على النكاح بعد انقضاء العدة إذا كانت المرأة ممن يعـتد لهن فلا خِطْبَةَ أثناء العدة لأن عدة المتوفى عنهـا زوجها أربعة أشـهر وعشـرة أيام وهى مدة فرضهـا الحق تعالى وحدد ميقاتـها الزمانى لحكمة بالغة فى تشريع قيوم الـسموات والأرض فقال عز شأنه: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ ويذرون أزواجا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أربعة أَشْهُرٍ وعَشْرًا ﴾ (البقرة: ٢٣٤).

٢ـ أما المطلقة فعدتها ثلاثة قروء: أى ثلاث حيضات متتاليات تظهر فيهن براءة رحم المرأة من الحمل وخلوه من الولد بعد نكاحها من زوجها الأول ومن دقة وعظمة المشرع الكبير جل وعلا لعل اللّه تعالى أن يؤلف بين قلبيهما ويبدل من العداوة المحبة: ومن الفرقة والقطيعة المودة فيتراجعا والخِطْبَةُ تفسد هذا جميعه فقال عز شأنه: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

٣ـ ومن آداب العقد: الخطبة قبل النكاح ومزج التحميد بالإيجاب والقبول أى أن المزوج يقول الحمد للّه والصلاة على رسول اللّه زوجتك ابنتى فلانة ويقول الزوج الحمد للّه والصلاة على رسول اللّه قبلت نكاحها على الصداق المسمى بيننا ويكون الصداق معلوماً وخفيفاً ويستحب التحميد قبل الخطبة أيضاً فيقول الخاطب الحمد للّه والصلاة على رسول اللّه ثم ينظر ما يتم تعريضه إليه من الخطيبة ولا جناح عليهما فى ذلك لقول الحق عز شأنه ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

ومن آدابه: أن يلقى أمر الزوج إلى سمع الزوجة: وإن كانت بكرا فذلك أحرى وأولى بالألفة ولذلك يستحب النظر إليها قبل النكاح فإنه أحرى أن يؤدم بينهما. ومن آدابه إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين اللذين هما ركنان لصحته ومنها أن ينوى المتزوج إقامة السنة والعفة وغض البصر وطلب الولد وسائر الفوائد التى ذكرناها فى مقاصد الزواج سالفاً ومن الآداب أن لا يقصد بالزواج مجرد الهوى والتمتع فيتحول به إلى عمل من أعمال الدنيا. قال عمر بن عبد العزيز رحمه اللّه تعالى: «إذا وافق الحق الهوى فهو الزيد بالنسيان».

يعنى لا مانع من تحقيق الهوى واللذة فى الحلال وهو المقصود بالحق مع كون الهدف الأسمى من الزواج إحياء السنة والإحصان به عن المحرمات وطلب الولد اقتداء بالفاروق عمر رضى اللّه عنه إذ قال والذى نفسى بيده إنى لأكره نفسى على الجماع بغية أن يخرج الحق سبحانه من ظهرى نسمة تسبح بحمده وتذكره.

مهلكـات السعـادة الـزوجيـة

هى سبعة ضد سبعة مقومات السعادة الزوجية ونقيض لها وهى على الترتيب:

(الأولى) انعـدام الدين: وهو الأصل الذى تكتمـل به الفـضـائل والمكارم وطيب الأفعال وجميل الصفات. ولذا جعله الحبيب المصطفى ﷺ الدعامة الأولى عند طلب النكاح فى الزوجـين ففى المـرأة قال ﷺ: «**تنكح المرأة لجمالها ولحسبها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**».

فاظفر بذات الدين أقصد بالظفر وهو الفوز بذات الدين فإن لم تظفر بذات الدين ملـئت يداك تراباً أى مـرغت يـداك فى التـراب وهو كنايـة عن شـدة الخسارة وعدم التوفيق فى اختيار شريكة الحياة ولو أخذ أجمل وأغنى وأحسب ما فى الأرض.

ثانية المهلكات: الخيانة: وهى أبشعـهم وأفظع ما فى السبعـة إذ يترتب عليهـا نزع البركـة وانعدام الخـير فى الذرية وهدم بيت الزوجـية وتشـتيت الأبناء وهى رأس كل فسـاد وبلية وهى الآفة التى تدمر الحـياة وتخرب كل عامر ولذا جعل رسول اللّه ﷺ الأمـانة ـ الإيمان كله فقال ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**».

وهى ضد الخيانة: والخيانة فى الحيـاة الزوجية أدهى وأمر: إذ يترتب عليها تدنيس الأعراض وتلويث الأنساب وتحلل الدماء وتفكك الـعصبات والقرابات فإنَّ الولد يرث غير أبيه سواء وقعت الخيـانة من أحد الزوجين أو كلاهما معاً ويترتب عليها فـساد كل شئ وهى صفة ذميمة يتحلى بهـا الفجار أهل الغدر الأشرار قرناء الشـياطين وأولياؤهم قال اللّه تعـالى فى الحديث القدسى: «**أنا ثالث شـريكين ما لم يخن أحـدهمـا الآخر فـإن خان أحـدهما الآخـر خليت بينهما ووليتهما شيطاناً فبئس الولاية ولاية الشيطان للخائنين**».

ثالثة المهلكات: الخداع: وهو ضد الإخلاص والخداع بين الزوجين يفسد كل شئ فهو تغيير الحقائق وجعل الباطل حقاً والحق باطلاً والخداع هو العملة الثانية للنفاق فالمنافق يظهر غير ما يبطن وكذا المخادع ومثله المرائى فهذه جميعاً مرادفات وأوجه متعددة لعملة واحدة ولذا جاء وصف الخداع فى القرآن العظيم مقترناً بالنفاق والرياء دلالة على ارتباط الصفات الثلاث واشتراكها فى عمل واحد فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ (النساء: ١٤٢).

فطوبى لبيت يكسوه الإخلاص والويل كل الويل لبيت فيه خداع فقد جمع الثلاثة مكتملة الخداع والنفاق والرياء فَلَعْنَةُ اللّه على الخادعين المرائين المنافقين.

رابعة المهلكات: سوء الخُلق وضدها حُسْنُ الخلق: فسوء الخلق يشمل الفساد لكل شئ فى الدين وفى الأمانة وفى الإخلاص وهو فى الزوجين أو أحدهما آفة قاتلة تدمر كل جميل وتُفسد كل صالح وتقبح كل حسن وقد جعله الرسول الكريم ﷺ البر جميعه فقال: «**البرُّ حُسْنُ الخُلُق**»(١).

كما بيَّن ﷺ أنَّ أقرب الناس منه مجلساً يوم القيامة هم أصحاب الأخلاق الحسنة فقال ﷺ: «**إن أقرب الناس منكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»(٢). فكأنَّ سوء الخلق فساد للبر كلِّه وقد بيَّن الرسول ﷺ أنَّ البر حُسْنُ الخُلُق ولا يغيب عنَّا أنَّ البر كلمةٌ جامعةٌ صنوف المكارم والفضائل فى الأقوال والأفعال والصفات فنعوذ باللّه من سوء الأخلاق ونسأله سبحانه التوفيق والسداد إلى طيب الأفعال وكريم الصفات وأحسن الأخلاق.

خامسة المهلكات: انعدام الرابطة: لأن قوة الرابطة الروحية والقلبية وشدة التعلق بين الزوجين دعامة أساسية فى تحقيق السعادة وثبات الزوجية وقوة بنيانه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وأبو نعيم.

(٢) متفق عليه.

وأركانه وزواج بنى على عدم رابطة كزواج المنفعة أو الفرضية، أعنى يفرض كل من الزوجين على الآخر سرعان ما تدب الخلافات بينهما وتتهدم الحياة الزوجية، لأن بيت بنى على غير أسـاس، فيجب الاقتناع الكامل من الطرفـين كل منهما بالآخر، والتفاهم والتقارب الثقـافى والفكرى مع مراعاة أن قوة التعلق والترابط الروحى بين الزوجين تزيل جميع الفوارق المادية والثقافية وحتى فى السن.

سادسة المهلكات: انعدام الثقافة الجنسية: فكثير ما تتهـدم بيوت لعدم ثقافة الزوجين بالعملية الجنسية، وكذا عدم ثقـافة الزوجين بمعرفة حقوق كل منهما على الآخر، وما له وما عليه فتقع المصادمات فى النقيضين كل منهما فى اتجاه لا يعرف ماذا يريد منه الآخر، ولذا حرص القرآن العظيم على تـنبيه الأزواج الرجال خاصة إلى مداعبة الزوجة وإعدادها نفسياً ومعنوياً يهـيأ الجانب الوجدانى فيها واستعدادها للعملية الجنسية، فـقال سبحانه: ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣) كما بين هذا المعنى الرسول ﷺ، فقال: «**لا تأتوا نساءكم كما تأتى البهائم**».

سابعة المهلكات للسعـادة الزوجيـة: انعـدام الارتـواء الجنسي،وهو سر التنافر بين الزوجين، وعدم قابلية كل منهما للآخر، وهناك عدة عوامل تحول دون تحقيقه وبلوغ القدر الذى يفى بحاجة الزوجة خاصـة، ويحقق الانسجام الروحى والنفسى بين الزوجين إذ به تبـلغ اللذة ذروتها وبدونه يكون البيت جـحيمـاً لا يطاق، وقد يؤدى غالبـاً عدم الارتواء الجنسى بضـعاف النفـوس إلى الانحراف باقـتراف أبشع جريمة ألا وهى جريمة الزنا ليشبع رغـبته، ويقضى نزوته دون النظر إلى فظاعة ما يقترفه من قبح انتهاك الحرمات وفضح العورات بالزانى والمزنى بها على السواء.

ويرجع سبب عدم الارتواء الجنسى إلى الـبرود الجنسى فى بعض الزوجات وإلى الضعف الجنسى فى بعض الرجال وإلى عدم التركـيز النفسى والمعنوى الذى بمقتضاه يتحقق الانســجام الروحى بين الزوجين وبه يتوهج الشوق للقـاء بينهما وبه تتم اللذة وفى غيابه يكون التنافر وتختلف المسافات والمدة الكافيـة لالتقاء الشهوتين فقد يسرع

الزوج بالإنزال ثم يترك الزوجة مباشرة دون النظر إلى ما تعانيه من عدم الإنزال وكبت الشهوة فيها وما يتبع ذلك من تأثير على نفسيتها وعلى صحتها وعلى جسدها ونشاطها فتكون بسبب ذلك فى خمول وضجر وغالباً ما تصاب بالاكتئاب و الميل إلى العزلة والسرحان. وتكون فى حالة غضب شديدة تنعكس على أدائها ومعاملاتها لأبنائها وزوجها فى البيت إذ تغضب لأتفه الأسباب وتكون فى حالة ثورة غَضَبية دائمة تضرب الأبناء ضرباً عنيفاً بما يشبه أو هو الحقيقة الانتقام من الأب فى شخص الأبناء وقد يتعرض الزوج لضرب الزوجة دفاعاً عن الأبناء وقد تهجر بيت الزوجية وينتهى المطاف بالطلاق وبه يتشرد الأبناء ويهدم البيت.

وعليه فإننى أنصح الأزواج التحلى بالصبر مع الإكثار من ملاطفة الزوجة ومداعبتها قبل العملية الجنسية مع إهداء قدراً وافياً من المحَبَّةَ والرحمة والقول الجميل الذى يبين إعجابه بها وتمسكه بحبها وأحاسيسه نحوها بعيداً عن الغلظة والقسوة والتعنيف وسيئ الألفاظ الذى يجلب النكد والغم ويبدل الحب إلى كراهية والسرور إلى أحزان فإنْ أفلح فإنَّ المرأة كائن ضعيف يحتاج إلى الرحمة وإلى المحبة وإلى المودة وإلى كل همسة رقيقة تشعرها بتحقيق ذاتها وأنها موجودة إنسانة لها كافة الرعاية والعناية بها فإنها تتعلق بزوجها وتحبه حباً شديداً ويتحقق الارتواء الجنسى لأقل اللقاء فإنها تكون دائماً فى شوق شديد لزوجها تتطلع إلى طريقه وتنتظر قدومه وتشعر أن الدنيا بدونه لا شئ فيها ولنا القدوة الحسنة فى معلم الإنسانية سيدنا محمد ﷺ القائل: «**خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي**»[1]. وفى رواية: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم خيركم لأهلى**»[2]

ولا ننسى الجانب الإلهى الربانى الذى بمقتضاه يقذف الحق تعالى الحب فى قلوب المحبين الأوفياء الذين صلتهم بربهم قوية بمعنى أن يكون الزوجان مع اللّه تعالى فلا يفرطا فى جنب اللّه عز شأنه فإنه قادرٍ أن يؤلف بين قلبيهما ويسعدهما دنيا وآخرة مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿**من عمِل صالحا من ذكرٍ أوْ**

(١) أخرجه الترمذي.
(٢) أخرجه الإمام البخاري ومسلم.

أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾(النحل: ٩٧) والحياة الطيبة هى ثمرة العمل الصالح والإيمان باللّه عز وجل والسعادة الزوجية جزئية من الحياة الطيبة.

وروى أنَّ أول حب وقع فى الإسـلام هو حب النبى ﷺ لعائشـة وكان يقول لـها: «**كنت لك كـأبي زرع لأم زرع غيـر أني لا أطلقك**» وكان يـقول لنسائه: «**ولا تؤذوني في عائشـة فإنّه واللّه ما نزل عـلي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها**». وكان رسول اللّه ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان.

ومن موجـبات الألفة بين الزوجين وشـدة العشق وقوة الرابطة أن يحـتمل الزوج إيذاء زوجته ويزيد عليه لها المداعبة والمزح والمرح والملاعبة.

وفى الخبر أن رسول اللّه ﷺ كان من أفكه الناس مع نسائه.

وقالت عـائشة ﵂: سـمعت أصـوات أناس من الحبـشة وغيـرهم وهم يلعـبـون فى يوم عـاشوراء فـقـال لى رسـول اللّه ﷺ: «**أتحـبين أن تري لعبهم؟**» قالت: قلت: نعم فـأرسل إليهم فجاؤا وقـام الرسول ﷺ بين البـابين ووضع كفـه على البـاب وحديده ووضـعت ذقنى على يده وجـعلوا يلعبـون وأنظر وجعل الرسـول ﷺ يقول: «**حُبـك**» وأقـول: اسكـت مرتـين أو ثلاثـاً ثم قال: «**يا عائشة حبك**» قلت: نعم فأشار إليهم فانصرفوا.

١ ـ حُبك: أى كفى بمعنى رأيتى القدر الكافى من لعبهم.

ونفس المرأة مثل نفس الرجـل إن أرسلت عنانها قليلاً جـمعت بك طويلاً والمرأة إن أرخيت غدارها فتراً جذبتك ذراعاً وإن كـبحتها وشددت يدك عليها فى محل الشدة ورفقاً فى محل الرفق ملكتها.

وبالجملة فـبالعدل قامت السـموات والأرض فكل ما جـاوز حده انقلب إلى ضده فينبغى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى الموافقة والمخالفة وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسلم من شر نفـسك وشر نفس من ملّكك اللّه تعالى أنفسـهن بالاعتدال فى كل الأمـور فإنك تأمن شـرهن وتسلم من كـيـدهن مع مراعـاة هذا النص الجميل الراحمون يرحمهم الرحمن عز شأنه. ﴿ وتصدّق علينا ﴾ (يوسف: ٨٨).

مفهوم الزواج

إن الرابطة الزوجية ليست مجرد علاقة بين شخصين فحسب: وإنما هى ظاهرة اجتماعية تنشأ على أثرها مجموعة من العلاقات يشترك فيها المجموع العائلى، أعنى عائلة الزوج وعائلة الزوجة، والأقارب والأحساب والأنساب ذوى الصلة بالطرفين، والأبناء الذين يأتون ثمرة لهذه العلاقة وتتحقق بهم قرة العين التى هى الزواج ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (الفرقان: ٧٤).

وكذا حفظ السلالة واستمرارية الخلافة فى الأرض، فإنّ وجود هذا المجموع العائلى أعنى الأقارب والأنساب الذين لهم علاقة مباشرة بشريكى الحياة الزوجية من متغيرات تؤثر سلباً أو تأتى سبباً لهدم بيت الزوجية وانهيار العلاقة بين الزوجين، وغالباً ما يحدث هذا بسبب عدم التكيف الزوجى والانسجام الروحى، أو لخلل ما فى إحدى الأسرتين كوفاة أحد الوالدين، فإنّ الرابطة الزوجية تكون متينة، بمحيطها الاجتماعى وقوة أواصر المودة بين المجموع العائلى الذى هو بمثابة عمق استراتيجى للحياة الزوجية، يمتص الهزات، ويتغلب على العقبات، وتنصهر فيه الخلافات، وتثبت به دعائم العلاقات خاصة فى بلادنا التى لم تصل بعد إلى حد الكفاية المادية التى تسمح بتذليل الصعوبات والتغلب على مشاكل الحياة الزوجية: فإنّ التكافل الاجتماعى أعنى قوة الترابط الأسرى بين العائلتين يكون هو الضمان الأمثل والتضامن الأكمل للحياة الزوجية إذا ما اعتراها أى خلل.

* * *

مقومـات بنـاء الأسـرة

وعلى ضوء مـا تقدم فالأسرة الحـديثة لابد لها من مـقومات لحفظ بقـائها أهمها مراعاة التوافق بين الجوانب المادية والنفسـية والاجتماعية حتى يمكن أنْ تكون أسرة واحـدة قائمـة على المشاركـة الفعليـة بين الزوجين، وبعـيداً عن المفـاهيم الخـاطئة التى تـوصى بتغلب الـرجل على المرأة، إذ من الواجب أن يتقاسم الزوجان الحياة بشتى صنوفها، وحتى لا يحدث أى إجحاف بحق كل منهما يجب يقوم هذا التـقاسم على الإحترام المتبادل، وسيادة مبـدأ التضحية بينهما، وحتى يجسدا لأبنائهما قيم هذه التضحية المبنية على التآزر والتعاون، لأن الطفل لن تكون له أسرة بمعنى الكلمة «إلا إذا كان له أبوان متعاونان. . . إذ ليس يكفى أن يكون الوالـد أباً عاقـلاً أو حارسـاً أمـيناً، أو أن تكون الأم والدة مـحبـة أو مـربيـة ممتـازة، وإنما يجب أن يكـون الوالدان أعنى الزوج والزوجة مـتحدان متـعاونان وبذلك تكون أسرة مـترابطة قوية البنيـان يعيش الطفل فيهـا سعيداً ويشـعر بالأمان. ولابد من أن يكون الجو الذى ينشـأ فيه الطفل جواً عاطفياً دافئاً بالحب، لأنَّ جو الخصام والمشاحنة قلما يلائم الصحة النفـسية للـطفل. وليست الأسـرة المتكاملة هى التى تضمـن لأبنائها أسـباب الرعاية الاقتصادية والاجتماعية والصحية فحسب، بل هى تلك التى تهئ لهم الجو النفسى الملائم أيضاً.

وقد لاحظ بعض علمـاء النفس أن الرعاية التى يتلقـاها الطفل من جانب والديه، ومن جانب أمه على وجه الخـصوص هى العامل الرئيسى فى تكوين صحته النفسية والعقلية. وليس فى استطاعة أية مؤسسة اجتماعية، أو أية هيئة تربوية أن تنهض بهذا العبء الهام الذى يقع على عاتق الوالدين خصوصاً فى السنوات الخمس الأولى من حيـاة الطفل. . . وهنا يكون على الآباء أن يحبوا أبناءهم على قدر الإمكان وبطريقة موضوعية لا بطريقة نرجسية. فليس أمعن

فى الخطأ من أن ينظر الآباء إلى أبنائهم على أنهم «موضـوعات» يملكونها أو أجزاء تدخل فى صميم وجودهم، وكأنه ليس للأبناء شخصيات مستقلة ينبغى احتـرامها ومنحهـا أكبر قدر ممكن من الحـرية وبعبارة أخـرى ينبغى بل يجب على الآباء أن يدركوا أنهم يربون أبناءهـم لكى يصيروا يوماً شخصيات مستقلة قادرة على الإعتماد على نفسها».

ولا يغيب عن بالنا مطلقاً أنَّ الشخصيـة المستقلة للطفل الآن هى الشخصية المستقلة للرجل غداً. والأسرة التى تعلم أبناءها مـعنى الحق والحرية والإعتماد على النفس، هى التى تسـاهم فى خلق جيل تغـرس فى ذاته محـبة الوطن، والتفانى فى سـبيله. ومن درج على معرفة الحق وهو لا يزال صـبياً لا يمكن له أن يقبل بتطبيق الباطل عندما يشب ويكبر. فالأسرة إذن هى. بمثابة موطن يتعلم فيه الطفل قواعد السلوك التى سيطبـقها لاحقاً فى علاقاته مع الآخرين فى المجـتـمع، فإذا كـانت هذه العـلاقـات مـبنيـة على التنافس والنزاعـات والمشاحنات المستمرة بين الإخوة فإنَّ صداها سيكون له نتائج سيئة على حياته مستـقبلاً، أما إذا كـانت هذه العلاقات مبنيـة على المحبة والتـعاون، والألفة والتضحية المتبـادلة، فإنها ستؤدى بالتأكيد إلى نجاحه وفلاحـه فى الحياة وفيما يعود بالنفع على الأسرة والوطن والمجـتمع . ومن الجدير بنا الإشارة هنا إلى أنَّ الأسرة يجب أن يوحدها مثل أعلى يمر باتحاد المشاعر بين أبنائها ولا يكون تعاونهم مبنياً على المنفعة الماديـة أو المصلحة الخاصة فقط، بل يجب أنَّ يجمع بينهم هدف مشتـرك قائم على المحبة، والتفانى الـصادق، لأن صلاح الأسرة يعنى صلاح المجتمع. ويكفى مثالاً أن نلقى نظرة على تاريخ الأسرة فى بلاد الغرب خصـوصاً بعد الحرب العالمية الثـانية لنرى الانهيار الكبيـر الذى شهده نظام الأسرة هناك. حيث أصبح الحديث عـن النجاح فى الزواج يعتبر ظاهرة غير عادية.

الـزواج فى عهـده الأول

بعد انتهـاء شهر العسل مـباشرة أو حتى قـبل أن ينتهى تبدأ مجـموعة من التصرفات الغير مستحبة إذا جاز لنا التعبير أن نقول هذا السيناريو فى مسرحية أبطالهـا ثلاثة أقطاب رئيسـيـة هم: الزوج، والزوجة، والحـماة، مما يجـعل المجتـمع الصغـير للزوجـين عرضة لكـثير من الهـزات والاضطرابات والتى يسميـها أصحاب النوايا الحـسنة أعنى أصحاب السلبيـة «شر لابد منه» ولكى تستقـر الحياة الزوجية يجب وضع حـدود للتعامل يقف عندها جمـيع أعضاء الاسرة ويتحقق ذلك إذا عرف كل فرد مـا له وما عليه فيجب أن يقف الزوج موقف الإنصاف بمـعنى أن الزوجة لها حقـوق وعليها واجبات فـلا ينبغى أن تضيع حـقوق الزوج تحت تأثير عـاطفة الأم فينحـاز الزوج للأم ويجور على الزوجة فهذا لا ينبـغى ويجب الاعتدال وزجر من يتجاوز. فـالأم لها حقوق الأم دون عقوق. والزوجـة لها حقوق الزوجة دون بغى أو ضيـاع للحقوق. وبالتأكيـد فإن هذه التصرفات الطارئة لابد من مثـير لها، وتلعب دور الإثارة فيها بامتياز الحماة التى ترى فى ابنتها امـتداداً لها، فتسعى من خلالها لتحقيق ما عجزت عنه وفـشلت فيه مع زوجها الحما، وبالأخص فيـما يتعلق بالأمور المادية فتدفع بابنتهـا للطلب من زوجها ما لم يحققه الحمـا معها. وهنا يغرق الزوج بمطالب زوجـته الكثـيـرة والتى تكون فى أغلبـها من النوع الكمـالى. والمفارقة العجيبة هنا أن طلبـات الحماة تختلف بشكل جذرى مع ابنها المتزوج حديثـاً، والذى تطلب منه أن يكون مقتصـداً وقاسياً مع زوجـته فى أى شئ تطلبه أو تحتاج إليـه « وفى القضية بلا ريب جانب اقتصادى فـعال، لقد فقد الأهل فى ابنهم الذى تزوج دخـلاً اقتـصادياً، ثم عـامل أمن وافتـخار، ولا يغيب عنا أن الأم عندنا شديدة التعلق بابنها فلا صعوبة فى أن نقول بأنها ترى فى زوجته الغريم الذى أخذ الثمرة التى تعبت فى تربيتها.

إن الاضطرابات والمتاعب العائلية التى قد تعود إلى أسباب تَدَخُّل أهل الزوجة أو الزوج تكون عادة فى السنوات الأولى للزواج. . . » حيث تأخذ مشكلة الاضطراب النفسى محاورها فيتهم الزوج زوجته بالتبذير كما أنَّ الزوجة قد ترفض المساهمة فى مصاريف الأسرة إذا كانت موظفة، وكل ذلك يدخل ضمن إطار يمكن تحديده بكلمتين: السلطة لمن؟ لها أم له؟ وتخف نسبة الاضطراب هذه مع مرور الوقت إذا كانت الروابط التى تجمع الزوجين متينة، وبالتأكيد لن يحصل ذلك إلا بعد الكثير من المناقشات أو المساومات التى تخفف من نسبة المشاكل وتجعل من الحياة الزوجية أمراً ميسوراً.

إنَّ هدفنا من ذكر هذه المحطات هو التمهيد لحياة زوجية سليمة خالية من المفاجآت أو خيبات الأمل أو سوء التفاهم الذى قد يتطور فيجعل من هذه الحياة جحيماً لا يطاق. لأن كل ما يحصل من مشاكل وأزمات لا يعدو كونه صغيراً أمام البراعم الصغيرة التى جاءت ثمرة لهذا الزواج ، ومن حقها علينا أن نؤمِّن لها جواً هادئاً مليئاً بالمحبة والحنان عنينا بهم الأطفال.

* * *

أنـواع الأزواج

يمكننا تصـنيف الأزواج إلى عـدة نماذج أهمهـا: الزوج المغـامـر، الزوج المدلل، الزوج المدمن على لعب القمار (الميسر)، ومن ثم الزوج الناجح. ولا يعنى كلامنا هنا على أن هذه النماذج خالصة من حيث تصـرفها وسلوكها مئة فى المئة، إنما قد تتداخل بعض الصفات الإيجابية وغـير الإيجابية فى شخصية كل واحـد من هؤلاء الأزواج لأن التصـنيف جاء للصـفـة الأكثـر بروزاً فى شخصية كل منهم.

أ ـ الـزوج المغـامـر:

وهو طراز سئ من الأزواج، كل حيـاته تنصب على المغامرة وخاصـة فى سا يتعلق بأمور معاشه وطريقة تحصـيل رزقه، إذ لا يتورع عن القيام بأعمال خطرة لكسب المال، فهو يسافر من مكان إلى أخـر، ويبذر الأموال التى يحصل عليها ومن دون حسـاب، يصرف على ملذاته الشـخصيـة من دون أن يعبـأ بمتطلبات حيـاته الأسرية. إن الزوجـة التى يكون من نصـيبهـا، مثل هذا الزوج لـها من المعاناة الشئ الكثير، والإقتران به يدخل ضمن ما يسمى بالزواج الشقى.

ب ـ الزوج المدلـل:

سلوكه يشـبه سلوك الأطفال وهـو عادة خجـول يخاف المسئـولية لا يملك القدرة على أخذ القرار لعدم ثقته بنفسه يثور لأى نكسة قد يتعرض لها. وعادة ما يكون للعوامل التربوية والتنشئة الأسرية دور كبير فى تكوين شخصيته، وهو نتـاج لوالد أهمل فى تربـية أبـنائه بمعنى أن الوالد لم يركـز جـهـده وعنايتـه وتوجيـهاته لأبنائه بالـنصح تارة وبالزجر تارة أخـرى: ولم يطبق مبـدأ الثواب والعقـاب، وبالتالى لـم يكن فى الأبناء حسن القـدوة والثقـة والاعتمـاد على الذات. وهو ما يعرف بالوالد السلبى أى اهتم بشـئون نفسه وضيع رعيـته فهو

سلبي مع أولاده وكانت أمه شديدة الرأفة والعطف عليه. إنَّ سلوكه هذا يشكل مشكلة لزوجته التي تجد بعد فوات الأوان أنها تزوجت من طفل كبير السن.

ج- الزوج المدمن على لعب القمار (الميسر):

لعب القمار عمل سئ يستحوذ على الفرد ويدفعه للمراهنة على ماله برغم حاجته وحاجة أسرته لذلك المال. والمقامر في هذه الحالة عبد لرغبة سيئة استحكمت به وجعلته يسير في طريق صعبة تجلب له ولعائلته التعاسة والفقر والشقاء.

والدراسات النفسية التي أجريت على شخصية المقامر رأت فيه شخص أناني... ضعيف التبصر، غير ميال لتعذيب نفسه والأخرين معه، وتفريغ نزواته بالفعل المباشر، ويكره المؤسسات الاجتماعية التي تعمل على ضبط نزوات الناس وبمعنى آخر نزواته هو.

إنَّ هذا النوع من الأزواج يشكل خطراً دائما على أسرته من خلال شخصيته الفجة التي لا تبالي في أن تقوم بأعمال غير مشروعة بغية تأمين المال للمقامرة.

د- الزوج الناجح:

وهو الزوج الذي يضع الأمور في نصابها ويجيد التصرف بحكمة عند حصول أي طارئ، ويدرك تماماً ما له، وما عليه ويعرف كيف يحافظ على مشاعر شريكه في الحياة، وتكون جل اهتماماته منصبة على التربية البيتية، فهو يتابع، ويراقب ويوجه أطفاله إلى الطريق الذي يجب أن يسلكوه، وغالباً ما تكون زوجته صديقته، وهو يسوس الأسرة ويكون سنداً لها ويشكل المثل الأعلى لأبنائه ولإخوته.

إنَّ حديثنا عن هذا الزوج لا يعني أننا نتكلم عن زوج مثالي من كوكب آخر بل هو إنسان عادي كسائر البشر له حسناته، وله أيضاً أخطاؤه التي تبقى ضمن إطار يسهل عليه تصحيحه وهذا النوع يكون الغالب فيه أخطاؤه نادرة وحسناته وافرة وهذا ما أقصد به سهولة التصحيح.

أنــــواع الـزوجــــات

بعد الدراسات المستفيضة التى قام بها عدد من الباحثين فى مجالات العلوم الإنسانية أمكن التوصل إلى مـجموعة من السمات السلوكيـة الغالبة لعدد من الزوجات تم إدراج نماذجها وفق التصنيف التالى:

أ ـ الزوجة المتسلطة:

ينحصر سلوك هذه الزوجة فى عدد من التـصرفات التى تهدف للسيطرة على زوجـها وأبنائهـا والتـحكم المباشـر فى شئـون حـياتهم اليـوميـة بل والشخصية دون أى مراعاة لمشاعرهم وأحـاسيسهم البشرية. . . يدفعها إلى ذلك عدوانية مكبوتة تعود لعوامل نشأتها الأولى. فهى تسعى دائماً لإظهار قدرتها المبـالغ فيها أمام الآخـرين، والتى لا تقتصر فقـط على من تتعاطى معهم فى البيت مباشرة، بل تتعدى أنانيتها إلى كل الذين يحتكون معها فى المحيط الاجتـماعى الذى تنتمى إليه. . . فـهى تناقش، وتعارض، وتجادل، محـاولة فرض آرائها، وهى آراء غـالباً ما تكون تعسـفية، وبحـيث تصبح بتصـرفهـا هذا عدوة لنفـسهـا فى المقام الأول، وعـدوة لزوجها فـى المقام الثانى. وهنا لن نغوص كثيراً فى الأسباب العميقة التى تدفعها لذلك وأهم ما نريـد بيانه هو أن هذه الزوجـة كثـيراً ما تـتصرف علـى هواها فتـصدر القرارات الخاصة بشئون الأسرة دون مشورة أحد منها حتى لو كان زوجها، باعتبار أن تدخله فى ذلك تعـدياً على صلاحياتها، وإلغاء شخصـيتها لأنها تدعى أنها الأذكى والأعرف. وليس لأحد الحق فى هذه الأمور غيرها. وما على الآخرين سوى إطاعة أوامرها. وقد تكون هذه التصرفات مقبولة نسبياً إذا بقى أمـر تسلطها مـحصـوراً داخل الأسرة أما إذا تـعدى ذلك ليـشمل الأقارب والأصـدقاء يصبح أمـر الزواج مهدداً بالانهـيار والفشل لاخـتلال

التوازن والتوافق. بين الشريكين، والذى عادة ما ينعكس سلباً على جو الأسرة ويؤدى فى النهاية للطلاق أو لهروب الزوج من البيت.

ب- الزوجة المغرورة «عاشقة ذاتها»:

هذا النوع من الزوجات مشكلته محض ذاتية، فهو يهيم حباً بنفسه لا سيما إذا كانت مثل تلك الزوجة ترى إنها جميلة الشكل، فهى تقف معظم أوقاتها تنظر إلى المرأة، وقد يستمر بقاؤها على هذا الوضع لساعات عديدة تقضيها فى تصفيف شعرها، وتقليم أظافرها، وكل ما له علاقة بتحسين مظهرها، وهى تتابع كل الدعايات التى يبثها التلفزيون ويكون موضوعها الأزياء والأناقة وروائح العطر والأحذية والمكياج وعناوين صالونات التجميل التى تتردد عليها باستمرار ، وبالأخص إذا كانت تنتمى إلى فئة النساء من أصحاب الحضرة والامتياز.

ولا تنتهى تصرفاتها هذه عند هذا الحد الذى يتناول مظهرها الخارجى بل تسعى لأن تكون محط أنظار الآخرين. ولا شك بأن دافع هذا السلوك له أرضيته فى الواقع فهى منذ صغرها، كانت تسمع عبارات المديح وثناء من حولها على جمالها، مما أشعرها بغرور لم تستطع التغلب عليه فيما بعد. وبعبارة أوضح فهى زوجة نرجسية تهتم بمظهرها فوق العادة عاشقة لذاتها.

ج- الزوجة التي لم تخرج من طور المراهقة:

تتميز شخصية هذه الزوجة بعجزها عن الإنتقال من فترة المراهقة إلى فترة النضج العاطفى والنفسى. فهى ما زالت الطفلة المدللة التى ليس بمقدورها تحمل تبعات ومسئوليات الحياة، والتكيف مع أى أوضاع جديدة تشعرها بالمسئولية فهى «عبدة الأسرة» التى تترك بيتها الزوجى وتتجه إلى بيت أهلها لتشكى همومها «وتكون النتيجة عدم استقرار بيت الزوجية وعدم صيانة أسراره فإن للبيوت حرمة وقدسية بمعنى أنه إذا خرجت مشكلات البيت خارج

أعتابه: أصبح على مهب الريح: إذ بتفشى الأسرار ضياع الكرمات والهيبات. وأسقاط شخصية الزوجيـن فى نظر الأهل والمجتمع الذى يعيش فيه الزوجين ولذا فطنت الأم العربيـة التى أوصت ابنتها فى ليلة عرسـها: احذرى أن يرى منك قبيحاً أو يشم كريهاً. واحـذرى أن تفشى له سراً: فإنك إن تفشى سره: لن تأمنى غدره وهكذا.

والزوجة من هذا النـوع تحب التملك، وهى فى تشبـيههـا أشبـه بالنباتات المتسلقة، تبكى لأقل مساس بعواطفها، ولأنها غـير مسئولة عاطفياً فهى تنقل اعتمـادها الطفلى إلى زوجها، إنها نقيض الزوجـة المناهضة للزوج من حيث إنها لا تستطيـع أن تأخذ القرار أو تشارك فى الرأى وبالتالـى تكون غير كفء فى الإدارة المنزلية. ولأنها دللت فى طفولتها فإنها تريد من زوجها أن يدللها، وهى تستمتع إن أبدت عجزاً برثاء الزوج لها وعطفه عليها.

إنهـا فى الواقع تريد أن تظـل طفلة، لأن بلوغ النضج يسـتـوجب تحـمل المبئولية وهو حد التكليف إذ لا تكليف إلا على البالغين العقلاء.

د ـ الزوجـة المتمارضـة:

هذا النوع من الزوجات يكون دائم الشكوى من سوء حالتها الصحية تتردد على عيادات الأطباء بشكل مستمر تبحث عن أمراضها الوهمية التى لا أساس لها. والغـريب فى الأمر أن أعـراضها النفـسية تتـحول إلى أعـراض بدنية، وبمجرد وصـولها إلى عيـادة الطبيب، تراها ترتاح لفتـرة معينة، تعـود بعدها للشكوى من جديد. والتحليل النفسى لهـذا النوع من التصرفات قد أثبت أن هناك رغـبة لا شـعوريـة لدى هذه الزوجات، تتلخـص فى أنها تبـحث عن العطف المفقود داخل بيئتها الأسرية، أو أنهـا تسعى إلى معاقبة زوجها بسبب مشاكلها معه عن طريق تبديد طاقـته المادية عن طريق كثرة التردد على الأطباء والإكثـار من روشتات الأدوية والـتى غالباً مـا ترفض تناولها لأنهـا فى حالة

مرضية مختلفة وغير حقيقية. وقد يتطور الأمر إلى أكثر من ذلك عندما لا تحاول ضبط عواطفها أمام المواقف التى تجابهها، فهى تنفعل بسرعة، وتبكى عندما تريد. . . وأحياناً يصيبها الإغماء إذا ما شعرت أن شيئاً يضايقها. إنها بحاجة إلى دراية نفسية لتحسين حالتها، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة مشاكلها عن قرب ومشاركتها فى الحلول وحسن التوجيه والنصح لها وينجح العلاج إذا كان الزوج بصيراً بمشاكلها قريباً منها حساً وقلباً وجسداً وهو ما يعرف بالمشاركة الوجدانية. وما تجره عليها من صعوبة فى التوافق مع شريكها الذى يصبح مع مرور الوقت وإزاء تصرفاتها هذه غير قادر على كبح جماح ثوراته الغاضبة اتجاهها.

هـ- الزوجة الكثيرة العلاقات:

وتكون هذه الزوجة اجتماعية بشكل مفرط فهى تجيد فن إقامة العلاقات مع الناس. . . دائمة الحركة، وتعمل معظم أوقات النهار ومن دون تعب ولا تنام إلا قليلاً. وإذا ما سكنت فى مكان فهى تعرف كل قاطنيه، مهامها تشبه إلى حد كبير مهام مختار الحى (العمدة) من حيث تدخلها فى أمور المحيطين بها، ومشاركتها فى المناسبات الاجتماعية، مما يسمح لها بأن تكون زعيمة الحى الذى تتواجد فيه.

وغالباً ما يكون عيب هذه الزوجة أنها بتصرفاتها هذه تحدث خللاً فى الأسرة التى تنتمى إليها من حيث إن زوجها لا يستطيع مجاراة طاقتها الهائلة التى تجعل من المنزل مكاناً منفتحاً لا تهدأ الحركة فيه، من زيارات وواجبات، والتزامات متنوعة تطيح بميزانية الأسرة المفترض أن تصرف على شئون البيت الضرورية. إن هذه الزوجة عادة ما يكون حظها عاثراً إذا ما اقترنت برجل عادى يحب الهدوء والاستقرار لا يميل إلى الضوضاء والاختلاط وهو ما يعرف بسكينة الطبع والاكتفاء الذاتى، وهى لا يناسبها إلا رجل الأعمال

الناجح الذى يملك الأمـوال الطائلة. . . فـتسـتطيع أن تكون ساعـده الأيمن لتحقيق ما يصـبوا إليه، وما تصبو هى أيضاً إليه، فـتحقق ذاتها وتكون عوناً لزوجها ولطموحه الذى يتطلب هذا النوع من النساء. . .

ى ـ الزوجـة الناجحـة:

وهى الزوجة التى تتـمتع بميزات إيجـابية عديدة أولهـا الصبر وتتمـيز هذه الزوجة بعدة صفات أهمها أنها تكون متزنة فى تصـرفاتها قوية فى شخصيتها معتدلة فى شئون بيتها تعمل على مساعدة الزوج ومشاركته وتغطية احتياجات البيت والأبناء، وقـدرتها على اسـتيعاب المشـاكل ووضع الحلول المناسبـة لها وهى تسمى بالمرأة الفاضلة التى تسعد زوجهـا حتى وإن كان زوجها أقل منها دراية فى المسـائل الاجتـمـاعيـة. مربيـة من الطراز الأول، يكن لهـا أبناؤها إحترامـاً وحباً كبـيرين كونهـا ترعى شئونهم حتى عندمـا يكبرون، ومن دون التدخل فى حـياتهم الخاصـة. . . إنها الزوجـة القديرة الوفيـة الجديرة بالحب والتقدير والاحترام.

* * *

أسباب المشاكل الزوجية

تعددت الأسباب المؤدية للمشاكل الزوجية وقد رأينا أن نلخصها فى تصنيف منهجى يجمع فى إطاره العوامل المهمة التى لها علاقة مباشرة بحياة الأسرة وهى الأتى:

أ- المسائل المادية:

لاشك فى أنه للكفاية المادية دور أساسى على استقرار الحياة الزوجية ومن هنا نرى أن الكثير من المنازعات بين الشريكين تدور حول المسائل المادية ومحورها الطريقة الممكن أن يصرف كل من الزوج والزوجة المال بصددها.. فمرات ترى الزوجة أن زوجها يبذر قسماً من راتبه على نفسه ومن دون أى اعتبار لمتطلبات الأسرة وكذلك فقد ترفض الزوجة ذاتها أن تساهم فى الإنفاق على أولادها أو المشاركة فى مصروف البيت من راتبها الخاص ولاعتبارات كثيرة تتعلق بقناعتها فى هذه المسألة، لأنها ترى أن الرجل هو المسئول الوحيد عن هذا الأمر وليست هى وهذا مفروض من القانون والعرف، حتى أنها غالباً ما تحتفظ لنفسها بأسرارها الشخصية فيما يتعلق بإيرادات تكون قد ادخرتها من دخلها الخاص إذا كانت منتجة، أو من بعض التقديمات المالية الممكن أن تحصل عليها من والدها أو من أخيها وبالأخص إذا كانت تنتمى إلى أسرة ميسورة.

وتمتد المشاكل إلى أبعد من ذلك، فقد تطلب الزوجة من زوجها بأن لا يقوم بتقديم أية مساعدة لبعض من أفراد أسرته المحتاجين، وهنا يبرز جلياً موقف الزوجين من وجهة الإنفاق وعما إذا كانت صحيحة أو غير صحيحة. ويبلغ احتدام النقاش ذروته عندما يرى الزوج أن عمل الزوجة خارج البيت سيخفف من قيامها بواجباتها الأساسية نحوه ونحو الأسرة، ولهذا فإن عليها المساهمة بجزء من دخلها الخاص لصالح الإنفاق على الحاجات المتزايدة التى

تتطلبهـا الأسرة. وتجدر الإشـارة هنا إلى أن الخلافات الأسـرية بين الزوجين تصل إلى حدها الأقصى عندمـا يختل توازن الأسرة بخروجهـا من الفقر إلى الغنى أو العكس.

ب ـ دور التربيـة البيتية:

لاشك فى أن التربية فى البيت لها دور حاسم فى تكوين شخصية الزوجين وتحمل مسئوليات الحياة الأسـرية وتبعياتها لأن القاعدة هى: أسس تبنى. فلا يمكن لمدلل أن يتـحمل مسـئوليات: ولا يمكن لغـير ناضج عـقلاً وفكراً أن يحسن التصرف فى شئون الإدارة وغالبـاً ما تلعب العوامل الوراثية دوراً كبيراً فى تكوين الشخصـية وملامح سلوكهـا وغرس الثقة فيـها أو العكس، حيث يكتسب كل منهـما الخبرات الخـاصة التى تختلف من شـخص لآخر، والتى على أسسها يحكم الزوج أو الزوجـة على أمر ما.. فما يعجبه لا يـعجبها، وما يعـجبـها لا يعـجبه... فـهى ترى مثـلاً أن الذهاب إلى المسرح حـاجة ضرورية للثقـافة ولابد منها. الأمر الذى يؤدى فى نهـاية المطاف إلى اختلاف وجهات النظر وبالتالى يحصل النزاع. ولا يـغيب عن بالنا هنا اختلاف القيم وتعـارضهـا بين الزوجـين، يقـول أحد علمـاء النفس: «مـا يؤمن به الزوج ويتشبث به من قيم، قد تعـزف عنه الزوجة أو تنفر منه ولا تقيم له أى وزن. والعكس أيضا صحيح. فما تقدره الزوجة قـد يحتقره الزوج ويضرب صفحاً عنه أو ينفر مـن الأخذ به والواقع أن المنبت الذى نبت فـيه الزوج كثـيرا ـ أو غالباً ـ ما يـختلف عن المنبت الذى نبتت فيه الزوجة، ومن ثم فـإن ما يشربه الزوج من قيم منذ طفولته المبكرة يختلف كثيراً أو قليلاً عن القيم التى تشربها الزوجة فى طفـولتها المبـكرة. والقيم التى نعنيهـا هى القيم الدينيـة، والقيم الأخلاقية، والقيم الاجتماعية، والقيم الجمالية، والقيم المادية.

ج- التدخل من خارج الأسرة:

ويأتى هذا السبب من الأسباب المزعجة ويمكن تلخيصه بعوامل يمكن أن تكون نفسية، أو أن تكون لها علاقة بالمصلحة المادية، ونعنى بهذا التدخل هو دور الحماة التى تشجع ابنتها على الاستنزاف المادى لزوجها. ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يتعدى لوجود انحيازات من كلا الزوجين لأسرتيهما يدفع بأفراد من هاتين الأسرتين للتدخل فى شئون الزوج والزوجة.

د- فتور الرغبة بالآخر:

وهى لب المشاكل وكما يقول أحد الحكماء «إن حب الرجل لزوجته رغبة» فكيف إذا خفتت حدة هذه الرغبة؟ إن هذا السبب يؤثر ليس على وجود المشاكل فقط بل يؤدى فى أحيان كثيرة إلى الانفصال «فلقد تحس الزوجة بأن الزوج لم يعد يحبها كسابق عهدها به. فلم يعد مهتماً بها ولا منجذباً إلى جمالها... ولا يكاد ينظر إليها بنظرات الإعجاب كما كان فى الماضى... وإن هو فعل فيكون ذلك كروتين أو كواجب يؤديه بغير تذوق أو بغير إقبال أو اشتياق وقد يكون الشعور ذاته عند الزوج الذى أصبح لا يحس بتعاطف زوجته معه، برغبتها فى تقبل مغازلته لها أو تقربه منها.. إن إحساس أحد الزوجين أو كليهما بفتور الحب بينهما يشكل نقطة ارتكاز فى الخلاف سيؤدى حتما إلى الصدام ببعضها البعض.

هـ- التباين في وجهات النظر:

إن الزواج الناجح لابد له من أن يمر فى عملية تسوية بين الزوج والزوجة. والتسوية لابد لها من عامل التنازل لكى تحصل، وإذا فقد هذا العامل تحدث المشاكل. وهنا لابد من الإشارة إلى أن حرية الزوجين فى الاتفاق على الأمور التى تهمهما لابد لها من جلسات هادئة للبحث فيها قبل

وقوع سوء التفاهم. ولتوضيح أمر التـباين فقد ترى الزوجة أن ذهابها لإحدى صالونات التجميل أهم بكثير مـن ذهابها مع زوجها إلى معرض الكتاب. . . وهنا يأتى دور المقرر فى لعبـة السيادة على الأسرة ومن خلال تبـاين وجهتى النظر يتم تفادى الأمور التى تحدث على أثرها المشاكل الزوجية.

ي- التعارض بين شخصيتين مختلفتين:

ويبرز الجانب النفسى هنا حـيث يكون الزوج شخص انطوائى يحب العزلة ولا يرى الأشـياء المحـيطة به إلا من خـلال منظار شـخـصى بحت. وتكون الزوجة مـنبسطة ومنفـتحـة على إقامـة العلاقات مـع الآخرين من حـولها، وبشكل يحاول كل من الزوج والزوجة فرض شخصيته على الآخر، وهذا أمر مستحيل الحصول. فيـدب النزاع بينهما ويكون الاختلاف ويجب أن نشير هنا إلى أن فترة الخطوبة وبقليل من المعـرفة والتبصر يستطيع الخطيـبان من خلالها أن يكتشفا بعضهما البعض فيما يتعلق بهذه المسألة المهمة.

ز- اختلاف الأذواق والرغبات:

يصعب حـصر هذه المسـألة أعنى الأشياء التى يرغـبهـا كل من الزوجين، فالزوجـة مثلاً تحب أكل السـمك، والزوج ينفر من هذا الطعام، كـذلك فإن الزوج ربما يكون من متعـاطى التدخين والزوجة لا تستطيع اسـتنشاق الدخان الضار للسـيجـارة لأنها لا تطيق رائحة الدخـان؟؟ أو لأنها تتـأثر بضرره لأن التدخين ضـار بالصحة. مما يؤدى إلى التصادم بين رغـبتين متعـارضتين يقع على أثره الشجار والخلافات التى قد تنتهى بالطلاق.

ح- إنتقاد كل منهما تصرفات الأخر:

يعتبـر علماء النفس والاجتـماع أن سنوات الزواج الأولى هى من المراحل المضطربة فى الحيـاة الزوجية وتؤثر عليـها بعض التصـرفات العدائيـة من كلا

الزوجين كالانتقاد الجارح والتقليل من قيمة الآخر. فالزوج مثلاً يتهم زوجته بأنها تهمل عمل البيت وتقوم بزيارات كثيرة لجيرانها وتبديد طاقاتها دون أن ترعى أطفالها وتهتم بنظافتهم وتغذيتهم، وكذلك فهى تتهمه بأنه مبذر وغير مهذب فى تعامله مع الناس وهذا ما يؤدى إلى حدوث المشاكل الزوجية.

ط- حالة الزوجين الصحية:

هنا لابد من الرجوع إلى مثل قديم يقول: «العقل السليم فى الجسم السليم» وقد تطور الطب النفسى - بشكل تأكد فيه مضمون هذا المثل الذى يربط بين إمارات الصحة النفسية، وبين الحالة الجسدية للفرد، فمن ناحية الزوج نقول: كلما كان الزوج فى حالة صحية ممتازة كلما كان أقدر على إضفاء جو من السعادة على أسرته، وبالتالى تخف نسبة المشاكل التى تحدث عادة بين الزوجين، وكذلك كلما كانت الحالة الصحية للزوجة ممتازة كلما كانت أكثر قدرة على إسعاد زوجها وأطفالها خاصة وإن المرأة يقع على عاتقها مسئوليات الأسرة ورعايتها بقسمها الأكبر إضافة إلى أن حالتها الجسدية قد تتأثر فى بعض الأحيان باضطرابات الدورة الشهرية مما يجعلها فى حالة مزاجية صعبة نوعاً ما. . . كل ذلك له تأثيره على سير الأمور داخل الأسرة ويقع ضمن الظروف والأسباب التى تؤدى إلى حدوث المشاكل الزوجية أو عدمها. . .

* * *

عوامل تعجل بانهيار بيت الزوجية

هناك عـوامل أساسيـة لها دورها الحـاسم فى انهيـار بيت الزوجـية وهذه العوامل هى:

أ - إدمان الخمر:

من وجهة نظر طبية يعتبر الخمر مخدراً عاماً لجميع أجهزة الجسم التى تتأثر بمادة الكحول التى تحتويه، حيث يكون الجهاز العصـبى معرضاً أكثر من غيره للإصابة بـضررها. ومن هنا فإن المدمـن على الخمر يعـانى من اضطراب فى سلوكه وتصرفاته مما يؤثر سلباً على حياته الزوجية، حتى ولو كان هذا الزواج مكتـفياً من الـناحية الماديـة، لأن تعاطيـه الخمر لا يجـعله قادراً علـى تحمل مسـئوليات الزواج وتـبعاته. وقـبل أن تقع الواقعة لابـد من دور مهم للأهل هدفه التنبه لهـذه الحالة وتحذير فتاتهم من الاقتران بمثل هـذا الشخص المتقدم لخطبتها توفيـراً لهموم ومشاكل كثيرة مقـبلة، إذ من الخطأ الاعتقاد بأن المدمن إذا ما تزوج حالته ستتحسن باتجاه الإقلاع عن شرب الخمر، لأن عادة الإدمان استحكمت به ومن الصعوبة التخلص منها وذلك لأسباب جوهرية ثلاثة هى:

أولاً: عامل الوراثة فالشخص الذى يولد لوالدين يدمنـان الخمر يكون أكثر تعرضاً للإدمان من الشخص الذى لا يسرى فى دمه هذا العامل الوراثى.

ثانياً: العامل المهنـى ويتضح أهميـة هذا العامل بالنسـبة لعمـال البارات، وأماكن شرب الخمر الذين يختـلطون بحكم عملهم بمدمنى الخمر ويجارونهم فى تعاطيها حتى تتمكن منهم عادة الإدمان.

ثالثاً: العوامل النفسية وهذه تعتـبر أهم عوامل الإدمان. فهنالك أشخاص كثيرون يعجزون عن مواجهة مشاكل الحـياة ومتاعبها، ويصعب عليهم تكييف أنفسهم بالنـسبة لبيئـتهم ومجتمـعهم، إما لشعورهم بالـنقص، أو لإصابتهم

ببعض الاضطرابات النفسية كالقلق والإحساس بالكآبة أو لوقوعهم تحت ضغط المتاعب المالية، أو العائلية، أو العاطفية، أو المرتبطة بالعمل تلك المتاعب التى ترهق نفسيتهم فتضطرهم للالتجاء إلى الخمر هروباً من واقعهم الأليم فيعيشوا عدة ساعات فى جو يهيئه لهم خيالهم فينسون بذلك كل ما نغص عليهم حياتهم، حتى إذا ما استيقظوا فى الصباح، وجدوا أن المتاعب لا زالت فى انتظارهم فيلجأون مرة أخرى إلى الشراب، وهكذا دواليك. وتتكرر المأساة، وتزيد بالتدريج كمية الخمر التى يتعاطاها الشارب حتى يجد نفسه بعد فترة من الوقت وقد تمكنت الخمرة من جهازه العصبى فلا يستطيع الإقلاع عنها حتى ولو زالت الدوافع التى جعلته يلجأ إلى الشراب فى أول الأمر.

ومن الملاحظ أن هذا النوع من المدمنين يزداد عددهم زيادة مضطردة مستمرة وذلك نتيجة لضغط الحياة ومسئولياتها المتعددة فى عصرنا هذا المليئ بالمتاعب، والإرهاق، والقلق، وكثرة المطالب.

إذن فالمدمن على الخمر يكون شخصية ضعيفة سيكون لها تأثيرها على محيط العمل الذى مصدر رزقه منه، فيكثر إهماله، ويتكرر تغيبه، وبالتالى فهو مصدر ألم وتعب وضياع لزوجته وأطفاله لأن جل ما يكسبه من مال سيذهب بمعظمه على تعاطى الكحول فيصبح قابلا للفجور والتهتك وبشكل يندفع فيه إلى تحطيم الموانع الاجتماعية التى تضبط تصرفاته وبالتالى نسيان عهد الزواج.

ب- شدة التعلق بالأسرة:

هناك الكثير من الأزواج والزوجات قد وقف نموهم النفسى عند حالة معينة لا يستطيعون تخطيها، لأنهم أقرب للأطفال الكبار منهم للأشخاص البالغين، وهم يتصرفون وكأنهم ما زالوا يعيشون فى بيوت أسرهم الأولى، يهرعون دائماً للشكوى والتظلم عند أهاليهم عند حصول أية مشكلة زوجية حتى ولو كانت بسيطة ليلتمسوا الدعم لآرائهم التى غالباً ما تكون طفولية.

ج ـ الفارق الثقافي بين الزوجين:

ونعنى بالفارق الثقافى المستـوى العلمى والفكرى للزوجين إذ غالباً ما يؤدى هذا العامل إذا كان موجوداً إلى نوع من التباعد وهو ما يعرف بتفاوت الفهم الذى يؤدى إلى تباعـد وجهات النظر واختـلاف الرأى وينشأ عن ذلك تراكم المشاكل العـائلية فيـكتشف الزوجـان الفرق الكبـير فى نمط التـفكير والاهتـمامـات التى تعنى كل منهما. . حدثتنى إحدى الزميلات عن معاناتها بالنسبة لهذا الأمر فقالت:

كنت فى الثانية والعشرين من عمرى عندما تزوجت وبحكم العرف من ابن عم لى لم أرزق منه بأولاد، وهو يعمل مـيكانيكى سيارات. وبعـد فترة من الوقت توقف زوجى عن العمل لظروف قاهرة، حملتنى على مواصلة تعليمى الجامعى والذى تركته بسبب الزواج، وكنت يـومها فى السنة الثانية آداب قسم انجليزى، حـيث عارض زوجى الرجوع إلى الجـامعة فى البـداية، ولكنه عاد وقبل. وتخـرجت من الجامـعة وعـملت مدرسـة فى إحدى مدارس التـعليم الخاص. إن مشكـلتى الآن هى الفارق الثقافى الكبـير بينى وبين زوجى الذى تنصب اهتماماته على مهنته بينما اهتماماتى تنصب على المطالعة وعلى كل ما له علاقة بالفنون المسرحية والأدبية والرسم والموسيقى.

يتضح من كلام الزميلة أن وحدة المشاعر بينها وبين زوجها قد فقدت وهذا أمـر خطير يجب الـتنبه له قـبل الإقـدام على الزواج ليكون التـوافق الفكرى أساساً لدعم التوافق النفسى والروحى وقوة الرابطة فى الحياة الزوجية.

د ـ فارق السن الكبير بين الزوجين:

ونعنى به الفرق الزمنى فى العمـر بين الزوجين إذ أننا نرى أن زيجات تتم وفقـاً لأعراف قديمـة تفرضـها وتمليهـا ظروف معـينة ولم ننتهى منهـا بعد. فالفـارق السنى يجب أن لا يتعـدى السنوات القليلة بين عـمر الرجل وعـمر المرأة. وهذا سببه أنَّ الرجل المسن القادر علـى تأمين مستلزمات الزواج المادية

لا يستطيع أنْ يؤمن لزوجته المستلزمات الأخرى إذا ما اقترن بصبية فى ريعان الشباب، نقصد بذلك الإرتواء أى الإشباع الجنسى. كما وأن الفرق الكبير فى سنوات العمر يعنى وجود مسافة من التباعد بين الزوجين تحمل معها خبرات الحياة بحلوها ومرها بالنسبة للزوج المسن، ولا تحمل لصبية مثلها ما زالت فى مقتبل العمر ولم تقطع من مراحل حياتها إلا القليل.

هـ- الزوج الغائب باستمرار عن البيت:

إن الغياب المستمر عن البيت أسبابه معروفة، فأحيانا تدفع الزوجة بزوجها للابتعاد عن البيت بسبب سوء معاشرتها له، وأكثر ما يحصل هذا عندما تكون الزوجة من النوع المتسلط والأنانى الذى يجعل من البيت الزوجى مسرحاً دائماً للخصومة والشجار. وأحياناً تكون طبيعة عمل الزوج سبب الابتعاد، يقول الدكتور مصطفى فهمى: (وهذا رجل كثير الأشغال، فى مقتبل العمر ليس من عادته أنْ يروى لزوجته متاعبه أو انتصاراته، لأنَّ التجربة الماضية علمته أنه لن يظفر منها إلا بمواسات أو تشجيع سطحيين جداً. فهى لا تأخذ متاعبه ومشاكله مأخذ الجد، وتأخذ انتصاراته مأخذ القضايا المسلم بها المفروغ منها. وقصارى القول أن مشاكله ليست مشاكلها وهذه الأمور لاتهم الزوجة إذ شغلها الشاغل هو زوج يملأ فراغها العاطفى والجنسى وسد احتياجاتها المادية والمعنوية وليس الشاردون من أصحاب الأعمال كذلك. وفى الوقت نفسه لا ننسى أن هناك سكرتيرته أو زميلته فى المكتب، وهى تعلم ما وراء كل نجاح يحصل عليه من عناء وكفاح، وهى تعيش إلى جانبه كل لحظة من اللحظات الثمينة فى نظره، لأنها لحظات عمل وجد، وحين يكون فى مأزق تشعر بمتاعبه وتواسيه، وحين ينتصر تفهم معنى انتصاره وتقدره... وهى دائما تحب أن يتحدث إليها عن مشاكله فتبدى كل اهتمام وإعجاب به، وتفهم معنى هذه المشاكل. إن هذه الصلة الانفاعلية الوثيقة لا عجب مطلقاً أن تتطور فى أية لحظة من لحظات التوتر الشديد فتغدو صلة جسدية أيضاً...

و- الـزوج الدونجـوان:

قد يكون الزوج دونجواناً فى مقتبل العمر متصابياً فى السن الحرجة منه، والحقيقة من وجهة نظر نفسية أن المتهالك على حب النساء بهذه الطريقة يعانى من قصور جنسى ما، يريد إثبات عكسه عن طريق مطاردة الجنس الآخر ولابن المقفع فى كتابه «الأدب الكبير» نصاً صريحاً يتناول فيه هذه الشخصية ويدعوها للكف عما تقوم به إذ يقول:

«اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وإنهاكاً للجسد، وأتلفها للمال وأضرها بالعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء».

ز- الزوجـة المعرضـة للغوايـة:

وتأتى الغواية عن طريق رجل يهتم بهذه الزوجة ويبهرها بحديثه السلس وأناقته الفائقة، وحضوره المتميز، فتجد نفسها مأخوذة به، وأحياناً كثيرة يحصل هذا الأمر من دون تبصر ودراية فتقع فى حبائله لتكتشف بعد ذلك أنَّ زلتها هذه قد دفعت ثمنها غالياً.

ح- الغـيـرة:

تعتبر الغيرة عاطفة دفاعية يقوم بها كل من الرجل والمرأة صوناً للعلاقة الحميمة بينهما، وهى منبه هدفه التحذير من أنَّ هذه العلاقة معرضة للفشل. وتبقى الغيرة فى حدودها الطبيعية عندما لا تتسبب فى الطلاق بل على العكس فإنَّ وجودها فى هذه الحالة إنَّما يكون تأكيداً على الإهتمام بشريك الحياة. أما إذا تعدت الغيرة الحد المسموح به فتصبح مرضاً وبيلاً يهدد صرح الحياة الزوجية بالانهيار، خاصة إذا كانت مبنية على شكوك كاذبة، وتصورات لا أساس لها من الصحة.

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ هناك بعض التصرفات يقوم بها الزوج أو الزوجة للتأكد من حب الطرف الآخر له فتثير الغيرة فى قلبه لتأتى النتيجة بأسوأ ما يظن... وغالباً ما يحصل ذلك عندما يشعر أحد الزوجين بأن شريكه قد أهمل معاملته واتجه بعاطفته إلى شخص آخر.

وتتخذ الغيرة حالات ووجوه وعدداً من الأشكال الملتوية كشف المهتمون بالشئون النفسية خفاياها ولعل السؤال الأهم هنا يأتى ليقول: هل للغيرة مبرر حين يوجد الحب الحقيقى بين الشريكين؟ الإجابة على ذلك تكمن فى نفوس المتزوجين.



أثـر الجنس علي الحياة الزوجيـة

يعتبر الجنس من أهم دعامات تثبيت الحياة الزوجية:

وللحفاظ على استمراريتها يجب توافر الآتى:

١ـ الميل الجنسى إلى شريك الحياة.

٢ـ العلاقة الوجدانية بين الشريكين.

٣ـ الحب العائلى.

وأعنى بالميل الجنسى نحو شريك الحياة: الرغبة الجنسية للزوج والزوجة بشكل يتحقق به التكيف والإنسجام التام بينهما. وبعبارة أوضح عندما يجد كلا الطرفين أن الطرف الأخر موضوعاً جنسياً مرغوباً فيه ومغرياً للإقبال عليه.

أما العلاقة الوجدانية بين الزوجين فهى التوافق النفسى والروحى فى المشاعر والأحاسيس والأمانى والطموحات التى تحقق الألفة والمحبة بينهما. ومشاركة كل منهما الأخر. واهتماماته به. ومساعدته له. على تخطى أية عقبات يتعرض لها أو تقف مانعاً لسعادته.

فيقاسم كل منهما الآخر أفراحه ونجاحه. آلامه وجراحه. وهذا ما يسمى بالحب المعنوى.

أما الحب العائلى: فيتمثل فى قوة العاطفة نحو الأبناء خاصة. وبقوة المودة بين أسرتى الزوجين بشكل عام.

فإذا توافرت هذه الثلاثة: فإن الحياة الزوجية تصبح موفقة دون شك. على أنَّ فقدان أحد هذه المقومات الثلاثة لايعنى أنَّ الحياة الزوجية فى خطر ولن

تستمر. لا طبعاً. فقد يكون أحد الزوجين غير متمتع بالآخر من الناحية الجنسية لسبب من الأسباب التى سيأتى تفصيلها. ومع هذا تبقى عاطفة الحب المعنوى. وأيضا يبقى الحب العائلى.

وقد يكون العكس: أعنى أن الحب المعنوى هو المفقود مع توافر الحب الجنسى وشتان بين الاثنين. فإن الحب المعنوى هو تعلق الأرواح. والحب الجنسى: هو التقاء الأجساد فترة معينة تحت وطئة الشهوة وقهرها. وشتان بين تعلق الروح وتعلق الجسد. فإن تعلق الروح لا يستطيع صاحبه العيش دون الآخر. وقد تلاحظه بوعى حسك وبصرك فتجد زوجين على سبيل المثال لم ينجبا أطفالاً وفقراء الحال بالنسبة للمادة. لكنهما يرفضان مفارقة بعضهما تحت وطئة عدم الإنجاب لأحدهما. فنجد تضحية الأخر بقوله لا أريد أطفالاً وسأبقى معه حتى أخر لحظة فى حياتى. بينما يضغط الأهل للتفريق بينهما. وقد تكون العاطفتين مفقودتين أعنى الجنسية والمعنوية. ولم يبق الا العاطفة العائلية مع غياب الجنسية والمعنوية. تحكمها ضوابط وتقاليد اجتماعية أهمها وجود الأبناء فقد يضحى كلا الزوجين بعاطفته المعنوية والجنسية فى سبيل حفاظه على أبنائه وشدة حبه لهم ورغبته القوية فى عدم تشتيتهم وضياعهم. فكم من أزواج وزوجات جمعتهم الأقدار أجساداً بلا أرواح. لا يحققون الحد الأدنى من العاطفة الجنسية والمعنوية ومع هذا يبقون على العشرة مع قسوتها من أجل الأبناء وقد أشرت إلى ذلك سالفاً بقولى: قد يفتقد الزوج قرة العين فى الزوجة لكنه يجدها بسعادة متناهية فى الولد، والعكس بالنسبة للزوجة أيضاً فقد لا تجد قرة العين فى الزوج، لكنها تجدها فى ولدها فكثيراً ما أسمع ممن لا يتوافر بينهم الحد الأدنى من التوافق النفسى والروحى وفقدان العاطفتين، أعنى الجنسية والمعنوية. تقول الزوجة: خلاص حياتى لأبنائى هم الزوج وهم

الأهل وهم كل شئ لى فى الدنيـا. . . ويأتى هذا تحت إلحاح بعض الأهل على الزوجة بترك بيت الزوجية ومفارقة هذا الزوج.

والعكس فى الأزواج، فنجد زوجاً يعانى من فـتور الزوجة وبلادتها وسوء معـاملتها. لكنه يكـتم آلامه ويكظم غيظه من أجل أبنائـه أيضاً بينما تتـعالى أصوات الأهـل بالإلحاح عليـه بطلاقهـا. بينما نجـد صنفاً آخـراً من الأزواج والزوجات يموت أحدهما ويأبى الأخر الزواج بعـده وفاء بعده وصدق حبه. وهذا الصنف هو مـا نسـمـيه الحـب المعنوى. أى تعلق الروح وقـوة الرابطة الروحية بين الزوجين.



الأسباب التى تعوق نجاح العملية الجنسية

١ـ سرعة القذف:

تعتبر سرعة القذف أحد الأسباب الرئيسية فى عدم التوافق الزوجى حيث تحول دون نجاح العملية الجنسية وإذا لم يكن توافق جنسى فلا توافق روحى لأن سرعة القذف هى الخطوة الأولى من الضعف الجنسى. فهو سبب لعدم إيصال الزوج زوجته إلى ذروة اللذة والاستمتاع الذى يتحقق به الإرتواء الجنسى وهو ما يسبب عدم تحقيقه للزوجة آلاماً نفسية ومعاناة عاطفية تنعكس سلباً على سعادتها الزوجية واستقرار البيت وهو ما يعرف بالحرمان العاطفى والكبت الجنسى وقد تتحول الآلام النفسية إلى آلام عضوية.

ويرد الأطباء حالة سرعة القذف إلى عدم التناسق بين الوظائف الحسية والحالة النفسية للرجل المصاب بها ونحن لا نتناول الموضوع من وجهة نظر طبية وإنما نتناول فى هذا البحث الجانب النظرى عن الزواج وكل ما يمكن قوله فى هذا الموضوع هو التأثير السلبى لسرعة القذف على الحياة الزوجية إذ بسببها تبرر الزوجات اختلاق المشاكل المادية والاجتماعية بعدم التوفيق فى حياتهن الزوجية وهن بذلك التبرير يشعرن بخيبة أملهن فى أعز ما تهدف إليه الحياة الزوجية أقصد الاستمتاع الجنسى الذى يحقق الإرتواء وذروة اللذة.

٢ـ الإرتخاء:

يعرف الإرتخاء بعدم قدرة الرجل على ممارسة العملية الجنسية بسبب عجز عضوه التناسلى عن الإنتصاب وقد يكون كُلياً مؤقتاً أو مستديماً وترجع أسباب الإرتخاء إلى أمرين:

١ـ أن يكون بسبب مرض عضوى فى الجهاز التناسلى.

٢ـ أن يكون بسبب مرض عصبى أو غددى (أعنى إفرازات الغدد أو تضخمها). أو بسبب عوامل نفسية وهى كثيرة.

١ـ الأسباب العضوية:

حدد علماء الطب الأسباب المؤدية إلى هذه الحالة إلى علة عضوية تتخذ صوراً مختلفة منها:

١ـ عدم نمو العضو الجنسى أو صغر حجمه بسبب مرض العضو.

٢ـ وجود عاهة فى العضو.

٣ـ تقوس العضو.

٤ـ تضخم العضو.

٥ـ وجود قيلة مائية أو فتق كبير.

٦ـ التهاب حاد بالبروستات.

٧ـ وفى بعض الحالات يكون الإرتخاء نتيجة نقص هرمونات وخاصة هرمونات الخصية وعادة ما يصاحب هذا النقص تغيرات أخرى تظهر على الجسم منها صغر حجم العضو وقلة ظهور الشعر، وفى هذه الحالات يميل المريض إلى السمنة، كما يقترب شكل الجسم من جسم النساء وتتغير نبرة الصوت.

٨ـ ويحدث الإرتخاء فى حالات أخرى نتيجة لمرض فى الأعصاب بسبب الإصابة بالزهرى مثلاً، أو نتيجة لالتهابات الأعصاب التى تحدث من الدفتيريا.

٩ـ وقد يحدث الإرتخاء فى حالات مرض السكر البولى، والدرن، والملاريا، وكذلك نتيجة لبعض أمراض الغدد الصماء.

١٠ـ وفى حالات كثيرة يحدث الإرتخاء نتيجة للضعف العام، وفى تلك الحالات يكون الضعف الجنسى جزءاً من الضعف العام. أو نتيجة للإجهاد العصبى الذى يقوم به الشخص فى العمل.

٢ـ الأسباب النفسية:

تقر الإحصاءات الطبية على أن أكثر الحالات والتى تقرب من ٩٠٪ من حالات الضعف الجنسى لا يكون سببها عضوياً إنما تعزى لأسباب نفسية بحتة والمريض نفسياً هو أقل الناس إقبالاً على الجنس لأن القلق الذى يعانيه يبدد طاقته ويجعله غير راغب فى الجنس بسبب الإرباك والخجل الذى يعتريه عند محاولته القيام بالعملية الجنسية وأكثر ما يحصل ذلك فى ليلة الزفاف. ولا شك بأن الأسباب النفسية هذه تعود لكثير من المعتقدات الخاطئة عن الجنس، كما تعود للخبرات المؤلمة التى صادفها الشاب المتزوج خلال حياته، والتى تتعلق بالناحية الجنسية وهذا سبب الجهل بمبادئ التربية السليمة التى يجب أن يتلقاها منذ صغره حيث يعتم فى بلادنا على هذه المعارف التى غالباً ما تأتى مشوهة ومبتورة فى أكثر جوانبها الأمر الذى يسبب قلقاً مزمناً لبعض الرجال يجعلهم يفشلون عند إتمام أى عملية جنسية مع زوجاتهم. وهنا لا بد من الإشارة إلى القصور البدنى والاجتماعى والنتائج المترتبة عنهما لجهة الحالة النفسية لبعض الأزواج، ففى القصور البدنى يشعر الزوج بنقص من الناحية الجسمية «بالنسبة لزوجته كأن تكون بدينة مفتولة العضلات، بينما هو نحيل الجسم هزيل القوام، أو تكون الزوجة هيفاء فارعة، بينما يكون الزوج ذا قامة قصيرة، أو يكون هو عليلاً يتعرض لأزمات مرضية عنيفة، بينما هى تستمتع بالشباب والفتوة والحيوية، وقد تكون الزوجة بارعة الجمال بينما الزوج ذميم الخلقة.. الخ وقد تكون الحالة العضوية التى تشعره بالقصور مؤقتة، إلا أن ما تسببه له من خبرات مؤلمة عندما يتعرض للإحباط بسبب فشله فى العلاقة الزوجية الجنسية هو الذى يؤدى للحالة المرضية التى تستمر إلى ما بعد شفائه

من مرضه . . وقـد يكون القصور الذى يعانى الرجل مـن أثاره فى العلاقات الجنسية قصوراً فى المركز الاجتماعى أو الثقافى أو المالى. فالرجل الأمى الذى يتزوج من امرأة أكملت تعليمـها مثلاً، كثيراً ما يتعرض لتـعييرها له بجهله، والفقير الـذى يتزوج من غنية كثيراً مـا تؤلمه زوجته بتذكيره بفـقره، إلى غير ذلك من مظاهر الخيـبة الشديدة التى تجعله فى صـراع دائم بين أن يثبت ذاته كـرجل وبين أن يستـسلم لحـالة شعـوره بالنقص». إذن فـالقـصور البـدنى والاجتماعى قد يكونا من الأسباب النفسية التى تؤدى إلى الإرتخاء.

٣ـ البرودة الجنسيـة عند المرأة:

الزوجة الباردة جنسياً هى المرأة التى لا تحصل على الإشباع الجنسى الكافى خلال عملية الجماع مع زوجها وبالتالى يكون لديها ميلاً للإعراض عن ممارسة الجنس. وقـد تكون البرودة جـزئية حيث تحـصل المرأة على بعض الإشـباع، ومن دون أن تصل إلى درجة الذروة فى الاستمتـاع وقد تكون كلية بمعنى أنها لا تصل مطلقاً إلى الإشـباع حيث تشكل العـملية الجنسية لهـا أحياناً ضيـقاً ونفوراً، وما قيامها بها إلا كواجب زوجى عليها أن تؤديه.

وبدورنا نسـأل: ما هى الأسـباب التى تؤدى إلى البـرودة الجنسيـة؟ وهل للبرودة الجنسيـة آثاراً سيئةً على نفسيـة المرأة؟ إنَّ الإجابة على هذين السؤالين تكمن فى مجموعة من العوامل أولها النظرة المأخوذة عن الجنس والتى تتلقاها الفتاة فى نشأتها الأولى، إضافة إلى العوامل الأخرى وهى الآتى:

١ـ النظـرة إلى الجنـس:

يحـاط الجنس فى بلادنا بهـالة من التـخويف والرهـبة وكـثـيراً مـا تصل المعلومات عن المسألة الجنسية إلى أبنائنا بطريقة مشوهة تثير فى نفوسهم الكثير من عوامل الاستفـهام، وتفتح المجال أمام تساؤلات عديدة لا تنتهى كـثيراً ما يتم قمعـها من قبل الأهل، هذا إذا لم يأت الجـواب على بعضها ناقـصاً كأن

نقول للذى يسأل: «غداً تكبر وتعرف كل شئ» وكأننا بهذه الإجابة قد أرشدنا إلى ما يجب عليه أن يعرفه وتخلصنا نحن من الذى نعتبره حرجاً فى السؤال. إن هذا التكتم بشأن مناقشة الأمور الجنسية بصراحة وبطريقة علمية سيؤدى بالتأكيد إلى أمور لا تحمد عقباها فى المستقبل فيشب أبناؤنا على الجهل بمسألة حياتية مهمة يواجهون بها مستقبلهم بغير سلاح المعرفة مما يترتب عليه آثاراً سيئة تلاحقهم مدى الحياة. نقول هذا الكلام لإيضاح شئ ملتبس هو أن نظرتنا إلى الجنس يكون لها تأثيرها السلبى على الفتاة فى مقتبل العمر وفى وقت تستعد فيه لأن تصبح زوجة وأما فيما بعد... فإذا حجبت عنها المعرفة الصحيحة البعيدة عن الترهيب والتخويف والحذر المبالغ فيه، وكأن الجنس شئ غير عادى أو كما يقول أحد الباحثين أنه «شئ غير لطيف» نكون قد رسبنا فى ذهنها التهيب بدل الإرشاد وساهمنا فى إضافة سبب رئيسى من أسباب البرودة الجنسية لديها.

٢- ليلة الزفاف وأثرها فى تكوين البرودة الجنسية:

للقاء الجنسى الأول بين شريكى الحياة أهمية كبرى على مستقبل الحياة الجنسية للزوجين وهذا ما يجب أن يدركه الزوج أولاً وأخيراً، لأن الفتاة العذراء تكون فى حالة متوترة وخائفة، وسبب ذلك كما ذكرنا ضعف الإرشاد من قبل الأهل ونظرتنا الخاطئة إلى الجنس. ولهذا وجب على الشاب أن يكون لطيفاً مع عروسه حتى يصل بها إلى الاطمئنان ويجتازا المهمة بسلام، خاصة وأن الفتاة تكون قد رسمت فى ذهنها صورة جميلة عن الحب وعن اللقاء الأول بالشريك الذى لا يجوز له أن يشوه لها تلك الصورة... لأن الاندفاع القوى من جانبه باتجاهها سيجعل من تلك العملية عملاً مؤلماً قد يؤدى فى بعض الأحيان لحدوث النزيف، وحيث تبقى الآثار النفسية السيئة لهذا العمل لفترة طويلة لا يمحوها الزمن بسهولة. وهنا لا بد من التوقف عند بعض المعتقدات الخاطئة التى تلصق بالرجولة عندما يقال للرجل المقدم

على الزواج فى ليلة عـرسه بأن علـيه أن يكون قـوياً «فيـقطع رأس القط من الليلة الأولى». ولا شك بأن لهـذا التفكيـر البدائى إن لم نقل الوحـشى أثره على تصرف الزوج بطريقة غير حضارية تجعل من زوجته امرأة باردة جنسياً.

٣ـ الخـوف من الحمـل:

هناك بعض الزوجات تتـرك آلام الحمل والولادة عليهن أثراً نفـسياً صعـباً فيـزهدن بكل ما له علاقـة بالجنس ليصبـحن بعد ذلك باردات جنسيـاً. وقد يتلاشى هذا الأثر النفـسى بعد سن اليـأس عندما تشعـر المرأة بأن الخوف من الحمل قد زال من نفسها نهائياً.

٤ـ إعتلال صحــة الزوجــة واضطرابهـا النفسى:

إنَّ كثرة المـسئوليات فى الحـياة الأسرية تسبب عند بعض الزوجـات قلقا نفسياً وربما اعتلالاً فى الصحـة الجسدية الأمر الذى يؤدى إلى همود الرغبة الجنسية لديهن.

٥ـ فظاظـة بعض الرجال وقسوتهم:

هناك بعض الأزواج من الذين لا يجيدون فن التعامل مع الزوجة فهم قساة فى أسلوب تقربهم منها وحيث تكون هى بحاجة إلى كثير من الحب و الحنان قبل أن تصبح مهيأة للقاء الرجل، الأمر الذى يجعلها باردة جنسياً.

٦ـ فقدان الاطمئنان في مكان الاتصال الجنسى:

إنَّ المرأة العربية وبحكم نشأتها البيتيـة تتحكم إلى مجموعة من السلوكيات والقيم الخلقيـة، تربت عليها منذ الصغر، ولا تسـتطيع أن تتجاوزها، ولذلك فهى تحرص دائماً علـى أنَّ الرغبة فيه تكاد تكون منعدمـة أو محدودة لأضيق الحدود، وهذا كثـيراً ما يحصل فى البيـوت الضيقة (ذات المساحة الصـغيرة) وتكون الأسرة مـؤلفة من أب وأم وعدد من الأولاد، مما لا يسـمح بالاتصال

الجنسى بشكل طبيعى فيؤدى ذلك إلى كبح المشاعر، وإلى مشاكل أخرى تؤثر سلباً على الأطفال إذا شعروا أنَّ والديهما يمارسان الجنس بالقرب منهما (إنَّ هذه المسألة لها بحث طويل لا مجال للتوسع فيه الآن).

إذن ظروف اللقاء الجنسى ومكانه لها نصيب مهم فى حصول البرودة الجنسية عند المرأة المتزوجة.

٧- إصابة الرجل بالعنة أو بالقصور الجنسي:

ولا ننسى هنا أنَّ، الرجل يكون سبباً فى حصول البرودة الجنسية لدى زوجته عندما يكون مصاباً بفقدان القدرة على ممارسة الجنس لأسباب عديدة (عالجنا معظمها فى هذا الكتاب) وعجزه بالتالى عن إثارة زوجته الإثارة الكافية فيحصل عندها البرود الجنسى.

هذه هى أسباب البرودة الجنسية لدى المرأة، فهل فى عرضها ما يساعد على تلافى الأسباب المؤدية إليها؟ هذا ما نرجوه بالتأكيد ومن الله تعالى العون والتوفيق والسداد.

* * *

دور الثقــافــة الجنسيــة

إنَّ دور الثـقافـة فى هذا المجال ضـروری جداً لما لهـا من تأثير مـهم على معـرفة كل ما له عـلاقة بالجنس حتى يكون الموقف سليـماً لجهـة هذه المسألة الحسـاسة التى تنعكس إيجـابياً أو سلبـياً على عمليـة التكيف الزوجى إذ أن للخلفيـة الثقافـية دورها التوضـيحى الهام لكل الراغـبين فى الزواج. ولكى يحقق التـثقيف الجنسى دوراً إيجـابياً وفعـالاً يجب «أن يعطى للناشئـين بلغة سهلة، وبلهجة طبيعية، دون تهويل أو مبالغة، فيتقبلها المراهق كما يتقبل كل من آداب السلوك وحـسن التصـرف، إذ ليس مسـموحـاً فى عصـر العلم أن يجهل أى مراهق الفرق التشريحى بين جسم الأنثى وجسم الرجل، ولا كيف يأتى الطـفل إلى هذا العـالم. ولـيس له أن يجـهل أبداً أن الأولاد عـندمـا يكبـرون، يحــدث تجـاذب بين الجنسـين يؤدى إلـى الزواج ثم إلى إنجـاب الأطفال. وينبـغى للفتيـات والفتيـان أن يعرفوا تمامـاً ما هى العادة الشـهرية (الطمث) ووظائف وأسماء الأعضاء التناسلية معـرفة علمية مجردة بعيدة عن الإثارة، لأن اللف والدوران واستخدام تعابير ومفردات مـبهمة، غير واضحة الدلالة، وعدم تسميـة الأشياء بأسمائها العلمـية، أمور تؤدى إلى بلبلة أذهان المراهقين وتشويش أفكارهم، إن هذه القضايا يجب أن تشرح سواء فى البيت أو فى المدرسة». إن الأسرة السعيدة هى التى يترعرع قبل إنشائها الزوجان فى أسرهم الأولى فى جـو طبيعى وسليم، ولن يكون الجو كـذلك إلا إذا سادت المعرفة والصـراحة بين أبنائها والذين لا تبـاغتهم المفاجآت النـاتجة عن الجهل بطبيعة الأمور، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمر حيوى هو الجنس.

* * *

ما قبل الإنهيار

بعد هذا العرض السريع للعوامل التى تعجل فى انهيار الزواج لا بد لنا من وقفة نتناول فيها المراحل التى تسبق عملية الإنهيار هذه، علنا نتدارك بمعرفتنا لها ما يساعد على التخفيف من حدتها وبالتالى بقاء الزواج حماية للأسرة ويمكن بمعرفتنا لعوامل الإنهيار أن نحول دون وصول الضرر إلى الأطفال. وبداية نقول: يعتقد الرجل أنه يسيطر على المرأة، وتعتقد المرأة نفسها أنها هى التى تمتلك زمام السيطرة الفعلية عليه، وهذا الأمر يبدو جليا فى الحالات الطبيعية، أما فى الحالات التى تتخذ طابع الصراع فإنَّ الأمر يتخذ شكل حرب حقيقية وهذا ما يسمى حب التملك والسيطرة بين الرجل والمرأة. حيث تحس المرأة بأنها المنتصرة دائماً ولديها القدرة على المناورة التى تجعلها فى بعض الأحيان راضخة، وضعيفة، وصابرة تنتظر، سير واتجاه الصراع وغالباً ما تهاجم عندما ترى الرجل ضعيفاً أو عاجزاً أو متهاوناً معها، محاولة أن توهمه أنه هو الذى يمتلك زمام المبادرة كى تحرك الصراع وفقاً لرغباتها وبشكل خفى. وإضافة إلى سلاح الضعف الذى تملكه هناك سلاح الاحتيال والمكر الذى هو وليدة القهر الذى تعرضت له منذ طفولتها وإلى الآن والذى يدفعها لاستخدام أسلوب الابتزاز الذى تدرب الأم عليه ابنتها المتزوجة ليأتى ذلك كرد فعل على إهمال الزوج لها أو تسلطه عليها فتستنزفه بالطلبات العديدة والمتنوعة نذكر هنا أن الكثير من الرجال فى المجتمعات المتخلفة تعانى من ظاهرة الاستنزاف هذه وإذا فشلت فى استخدام الابتزاز المادى كون الرجل فقيراً تلجأ إلى السلاح المعنوى فتحكم عليه بالتقصير مادياً ومعنوياً، وإذا لم ينفع هذا السلاح فهناك سلاح التنغيص الذى تتفنن فيه بعض النساء فتطارد

الرجل بلا هوادة حتى تقض مضجعه وتثير فى وجهه الصراعات والمتاعب التى تدفع به للهروب بعيداً عن العلاقة الزوجية بفقدان سلطته المعنوية فى الأسرة من خلال الزج به فى سلوك عدوانى يدينه فى النهاية. وإذا عجزت عن استخدام هذه الأسلحة الهجومية لا تفقد القدرة على رد الفعل الدفاعى فتحتمى بالمرض أو تعمد للسيطرة الخرافية عليه بلجوءها إلى بعض المشعوذين من خلال السحر والكتابات ومما يزيد النار اشتعالا التدخل الذى يحصل من خارج الأسرة «فقد تجد أم الزوج وقد أخذت تنحى باللائمة على ابنها متهمة إياه بأنه شخصية طرية واهنة لتركه الحبل على الغارب لزوجته، مما جعلها تطمع فيه وتسيطر عليه... فالمشورة صارت مشورتها والأمر أمرها، بل إن رغباتها صارت أوامر واجبة الطاعة. والأدهى من ذلك هو أن الأولاد بدورهم صاروا يستخفون به بعد أن شاهدوا أمهم تحركه كيفما تشاء بغير مقاومة من جانبه وأمام تلك الاتهامات التى توجه له من أمه وإخوته يجد نفسه مندفعاً فى موجة من الغضب العارم ضد زوجته وأولاده... وقد انقلب إلى وحش كاسر ضد أسرته.. وهنا تقع الواقعة وتبدأ الزوجة باستخدام وسائلها السلبية» فتتخذ من القطيعة وسيلة للتعبير عما تحس به من غضب اتجاه الزوج... وقد تهجر السرير المشترك الذى ينام عليه الزوجان، وترفض تناول الطعام على مائدة واحدة.. وتنزوى فى حجرة بعيدة عن الحجرة التى يوجد فيها زوجها، أو حتى أنها تهجر البيت وتعود إلى بيت والدها... وثمة قصص كثيرة عن أزواج ظلوا منفصلين لمدة طويلة عن بعضهما البعض، بالرغم من وجودهما تحت سقف واحد. ولاشك فى أنَّ هذه المنازعات لها نتائج سلبية على المؤسسة الزوجية عديدة فقد تصاب الزوجة بمرض الاكتئاب الذى هو من أبرز الأمراض النفسية عند النساء إضافة إلى أمراض بدنية متعددة ذات منشأ

نفسى، وكثيراً ما تتحول نتيجة لما تعانيه إلى كائن متزمت يحاول أن يصب جام غضبه على من حوله، فيكون نصيب الأطفال من هذا الغضب هو النصيب الأوفر لكونهم على علاقة مباشرة معها، وبهذا يتزعزع إحساس الأمن لديهم فيشبون فى بيئة محرومة الرعاية والاهتمام، مما يعرضهم فى المستقبل للجنون. وأخيراً يأتى الطلاق الذى تسبقه هذه المراحل التمهيدية من المشاكل والصراعات والمناقشات الحادة كحل نهائى لا مفر منه وبشكل لا ينفع معه تدخل الوسطاء من الأهل والأقارب إذ لا يجد أحد الزوجين أو كليهما معاً مبرراً لإبقاء هذه الرابطة الزوجية التى لا تجلب لهما سوى الهم والتعاسة والشقاء.



أثــار الطـلاق السلبيــة والنفسيــة على الأسـرة

لا شك فى أن الطلاق يأتى كمحصلة لأسباب الهدم التى سبق بيانها ويقع كنتيجة حتمية لا مفر منها فيصيب الحياة العائلية فى الصميم ويدفع بالزوجين لاتخاذ خطوات عـملية لإتمامه، عن طريق ذهاب الزوجـة إلى منزل أهلها أو خروج الزوج من البيت نهائياً، وغالباً ما يصاحب ذلك جواً عاصفاً من التوتر النفسى والمشاحنات التى يتبـعها التشهير بسمعـة الزوج أو الزوجة خاصة بعد وصول خـبر الطلاق إلى الأقـارب والأصدقـاء الذين يحاول كل قـسم منهم الانتصـار لفريق ضد الفريق الآخـر إلى أن تنقشع الصورة الضـبابية لعاصـفة السجـال والخصومة هذه وتتـخذ الأمور بالنسبـة للمطلقين شكل أزمة نفـسية يحاول كل منـهما أن يجـتازها بالطريقـة التى تلائمه ويبدأ تكـيفه مع الحـياة الجديدة فينظم حـياته العاطفية وعاداته التى درج عليـها خلال سنين الزواج. وقد يأخذ الطلاق عند البعض صورة الإنتقام فيكثر المطلق من علاقاته الغرامية مع أفراد الجنس الآخـر، وقد يأخذ صـورة الكراهية وخـاصة لدى المرأة التى يصل بها الأمر إلى الحـقد على كل الرجال فى شخص زوجـها السابق الذى أقدم على خطوة الطلاق منها. . . وأحيـاناً ينعكس ذلك على سلوكها باتخاذ مواقف متشـددة تعلمها لبناتها أو تجهـر بها لصديقاتها بوصفـها الرجال بأنهم مجموعـة من الذئاب الكاسرة معتبرة أن الزواج منهم صفـقة خاسرة لا تجلب للمرأة سوى القهر والتعاسـة، فهم كذابون، منافقون، يريدون من المرأة إشباع أنانيتـهم ولهذا وجب الحذر منهم. وأحـياناً يتخـذ أثر الطلاق على الزوجين صوراً أخـرى تدفع بهم لتعـاطى الشراب وترمى بهم فى لجـة المرض النفسى الذى يرسم على وجوههم مظاهر الهم والـكآبة سيما وأنهم يجـدون أنفسهم

فجأة وبعد الطلاق مباشرة عرضة للوحدة والسأم والشعور بالتقصير الناتج عن زيجتهم الفاشلة. هذا بالنسبة للزوج والزوجة، أما بالنسبة للأبناء فإنهم يجدون أنفسهم فجأة فى أسرة محطمة فيكتسبون مزاجاً عصبياً حاداً وعقلية مشتتة تنعكس بآثارها عليهم خاصة فى بيئتهم المدرسية التى ينتمون إليها فيهبط مستوى تحصيلهم الدراسى ويميلون إلى العزلة لأن السند العاطفى من قبل الأم والأب قد فقد، ومما يزيد الطين بلة أن القائمين على المدارس فى بلادنا لا يكترثون لمثل هؤلاء التلاميذ فيعمدون إلى تقريعهم وممارسة القساوة عليهم فى حال شعروا بتقصيرهم العلمى بدل أن يعمدوا إلى إرشادهم ورعايتهم مثلما يحصل فى البلدان المتقدمة التى تهتم بمثل هذه الحالات فتقوم بتعيين مرشدين اجتماعيين للاهتمام بهم ومساعدتهم قدر الإمكان على تخطى أزماتهم الخطيرة هذه. وتزداد الأمور سوءاً إذا ما قرر أحد الزوجين المطلقين الزواج مرة ثانية من دون الإلتفات إلى الأخطاء التى أدت إلى طلاقه فى المرة الأولى، وقد تساءلت إحدى السيدات يوماً عن السر فى فشلها المستمر فى الزواج فقالت: «لست أدرى لماذا يلاحقنى الحظ التعيس دائماً، فلا يقع اختيارى إلا على الشخص الذى لا يصلح لى» ورد علماء النفس على هذا التساؤل أنه نظراً لخطأ أسلوبها فى الحياة، فإن هذه السيدة تجد نفسها مضطرة إلى أنْ تكرر باستمرار خطأ واحداً بعينه وهكذا نجد هذه المرأة التى تريد أن تؤكد نفسها سرعان ما يقع اختيارها على رجل ضعيف تجد فيه ضالتها المنشودة فإذا ما شقيت فى حياتها معه وأرادت أن تتخير رجلاً لم تلبث أن تجد أمامها مخلوقاً لا يحتق حُلمها للسيطرة عليه فلا يكون زواجها الثانى سوى ترديد لخطأها السابق والمرأة التى تبحث أولاً عن رجل غنى، قد تتزوج رجلاً بعد آخر وتكون حياتها فشل يتلوه فشل لأنها لا تنشد الشخصية التى ترتاح

إليهـا بل الثراء الذى تطمع فيـه. تجدر الإشارة هنا إلى أن مـشكلة الأبناء قد تكبر فى الزواج الثانى وتولد الكثـير من المتاعب للزوجين وهذا سببه التـمييز بين ولد وولد، فقد يشعر بعض الأبناء أنهم مـغبونون ومحرومون من العطف الذى تبـديـه الزوجـة على أولادها من الرجل الأول، وكـــذلك الزوج الذى يفـضل أولاده من الزوجة الأولى عـلى أولاد زوجتـه من زوجهـا الأول... وهذا مـا يولد الحسـد الذى يؤدى إلى الشقـاق والنزاعات الحـادة فى المنزل. وخلاصة القول أن الطلاق هـو مشكلة صعبة تهدم حيـاة الأسرة بكاملها... فهل من سبيل لدرء هذا الخطر منذ البـداية؟ وهذا لن يحصل بالتأكيد إلا من خلال الجـو الذى تهيـئه فـترة الخطوبة الـتى تساعـد على اكتـشاف خـصال الشريكين المرشحين للزواج ليأتى الاتفاق من بعدها مبنياً على التفاهم والتفهم وبالتالى حصول النجاح فى الحياة الزوجية.



الأساس العاطفى للزواج

الدكتور ويليام زيهيف أستاذ علم النفس ومستشار الزواج والمحاضر بجامعة «كولينج سيتى» فى «لوس انجلوس» قام ببحث اجتماعى نفسانى أساسه هو الإجابة على السؤال الآتى:

إذا أُعجب شاب بفتاة وأحبها، أو أُعجبت فتاة بشاب فأحبته! فما الذى جذب الشاب إلى الفتاة وما الذى جذب الفتاة إلى الشاب؟

طبعاً، إنَّ الحب هو الذى يدفع معظم الأزواج والزوجات إلى الاقتران (الزواج). فالزواج هو من أجل الحب وبسببه. ولكن ما السر فى أن المرء يقع فى حب شخص معين بالذات، ولم يقع فى حب شخص آخر؟ صحيح أن الشخص المحبوب قد يمتاز بصفات خلقية وجمالية وثقافية معينة ولكن هل الصفات التى جذبت العاشق، هى وقف على المحبوب أو أهل المحبوب باحتكار هذه الصفات. بديهى أن هذه الصفات نفسها كماً وكيفاً تتوافر فى غيره بل فى الكثير من غيره. بل قد يكون هناك شخص آخر تتوافر فيه هذه الصفات بدرجة أكبر من درجة توافرها فى المحبوب.

فإذا افترضنا أنَّ هناك شاب اسمه بيرت وسألناه عن الصفات التى يريد توافرها فى شريكة حياته. ثم قدمنا له أربعة فتيات تتوافر فيهن جميعاً تلك الصفات فإنَّ بيرت يختار فتاة معينة بالذات دون سواها. ما السر فى ذلك؟

هناك ثلاث نظريات أساسها الرد على هذا التساؤل:

أولا: نظرية «الهوموجامى» (التماثل): ومؤدى هذه النظرية أنَّ الإنسان يميل فى اختيار حبيبه وشريك حياته، دائماً إلى من يماثله فى الجنس (العنصر ـ بمعنى أن يتزوج الأربى آربة مثله والعربى عربية مثله) ويميل كذلك إلى من تماثله فى الدين والمستوى الثقافى والمركز الاجتماعى. فالجنس والدين

والثقافة هى عوامل يتوخاها المرء عند اختيار شريكة حياته. وإنما هناك حالات كثيرة تغفل فيها هذه العوامل وتجد المرء يُحبُ إنساناً ليس من جنسه ولا من دينه ودون مستواه أو أعلى من مستواه الثقافى. ما الذى يسبب هذا؟ ومن قبل ما الذى دفع بيرت إلى اختيار فتاة معينة بالذات؟ السر فى كل ما تقدم، الإجابة على التساؤل المتقدم، هو الحب. الحب هو توافق روحى هو تجانس شفاف هو استعداد ذاتى أو ميل ذاتى لشخص معين بالذات. وإنما العوامل السابقة وهى الجنس والدين والثقافة لها تأثيرها فى اختيار المحبوب (الشريك) وإنما اليد الطولى فى الاختيار هى الحب. هى للإنجذاب الروحى الذى يتغلب فى أحيان كثيرة على هذه العوامل فيعطل تأثيرها.

ويختلف مدى تأثير هذه العوامل فى الاختيار أو الإنجذاب يختلف من شخص لآخر ومن حالة إلى أخرى ومن ظروف إلى أخرى. بمعنى أنَّ هناك شخص يعجب بفتاة من غير دينه أو من غير جنسه أو دون مستواه الثقافى والاجتماعى وقد يهمل هذه العوامل وينجذب روحياً لها ولكن إهمال هذه العوامل قد يضعف الحب ويهدد الزواج فيفشل.

وقد قام فريق من الباحثين الاجتماعين بجامعة يال الأمريكية، ببحث ميدانى على ١٠٠٠ حالة (الحالة زوج وزوجة أو حبيب وحبيبة)، فخرجوا من البحث بأن السواد الأعظم (الغالبية) من الحالات (الأزواج) هم من نفس الدين ونفس المستوى الثقافى ونفس المركز الاجتماعى بل نفس مستوى دخول الأباء. وفى دراسة أخرى كتب عدد من الشبان فى الاستمارة: «أننى لا يمكن أن أقع فى حب فتاة من دين مغاير للدين الذى أعتنقه إننى لا يمكن أن أقع فى حب فتاة لم تتلقى تعليمها الجامعى.

فعموماً نجد أن معظم الشباب يختار حبيبه وشريك حياته على أساس التماثل فى الجنس والدين والمركز الاجتماعى والثقافى. ولكن نجد أيضاً أن أحد الشباب يختار فتاة معينة بالذات من بين الكثيرات من دينه وثقافته

ومركـزه الاجتـماعـى وجنسه. إذن التـوافق الروحى هو عامل أسـاسى من العوامل التى يبتغيها الفرد فى شريك حياته. فهذه العوامل تصبح هكذا.

١ـ التوافق الروحى.

٢ـ الجنس (العنصر).

٣ـ الدين.

٤ـ المستوى الاجتماعى والثقافى.

النظرية الثانية: هيتروجامى الصفات المغايرة المكملة: ومؤدى هذه النظرية أنَّ المرء يبـحث عن شخص يتـصف بصـفات تكمـيليـة مكملة لصفـاته هو الشخصية. وأن الإنسان المتسيد (المتسلط) الشديد الثقة بذاته يميل إلى الإنسان الذى يرغب فى أن يكون تابعاً للمتسلط.

ويذهب صـاحب النظرية إلى أبعد من هذا فـيقـول أن رائد علم النفس (سيجموند فرويد) قد فسر الميل بأنه فى أغلب حالات الحب والزواج يكون المرء مدفـوعاً نحـو شريك معـين بالذات. مدفوع بعـوامل غيـر واعيى أو عوامل كـامنة باطنة (أى استـعداد وميل ذاتى). فـالطفل يتمـتع بحنان أمه الشديد فيكبر ومعه فى نفسيته صورة أمه. فعندما يحب ويتزوج فإنه يبحث عن الشريك الذى يعيد مـعه علاقة المهد العاطفيـة. وكذلك الفتاة تريد أن تعيد صورة الأب الحنون.

النظرية الثالثة: اسمها توقعات الدور: وهى تفترض أن الطفل عندما يكبر يتعلم من أبويـه ووالدى رفاقه، يتـعلم أن هناك دور اجتمـاعى يقوم به الأب وهناك دور أخـر للأم، ويتعلم طبـيعـة العلاقـات بين الأب والأم وبين الأم وأولادها وبيـن الأب وأولاده وبين الأب والمجـتـمـع الخـارجـى وبين الأم والمجتمع الخارجى وهكذا. . .

إذن الطفل يتعلم أن هناك دور يقوم به كل شخص من أشخاص الأسرة فى نطاق الأسـرة ذاتها ثم فى خـارج نطاق الأسـرة وهذا يعنى أن الطفل يتـعلم كيف يقوم الرجل بدور الزوج والأب وكـيف تقوم المرأة بدور الزوجة والأم. ولهذا فإنه إذا كان الشخص مقبلاً على الزواج أو فى دوره لأن يقع فى الحب واختيار شريك حيـاته، فإنه ينجذب نحو الطراز الذى يريد هو أنه يستطيع أن يقوم بدور الزوج والأب، أو دور الزوجـة والأم، كما تعلمه هو فى صـغره. فمثـلاً الشاب الذى يتوقع (يريد) زوجتـه أنْ تقوم بدور ربة البيت وأم الأولاد هذا الشاب لا ينجذب لفتاة لها طمـوح فى مجال معين وليست تطمح فى أن تكون ربة بيت وأم أولاد.

ففى بحث فى الولايات المتحدة أجابت معظم الفتيات:

أننى أتوقع (أريد) أن يكون زوجى هو الممول الأساسى لمشروع الزواج وأن يحترم أراء زوجتـه وأن يعبر لها دائماً عن حبـه ووداده. كما أجاب معظم الفتيان:

أننى أتوقع (أريد) أن تكون زوجتى مخصصة مـعظم وقتها وطاقتها لتكون ربة بيت وأن تقوم بدور فرعى فـى عملية اتخاذ القرارات فى تصـريف شئون الأسرة وحل مشاكلها.

ولكن كل هذه عـبارة عن ترجـيحـات واحتـمالات قـد لا تحدث والآن يصبح من الواضح أن كل نظرية بمفـردها لا تجيب إجابة وافية شـافية على التسـاؤل الذى طرحناه أولاً: ما الذى يجـذب الشخص إلى شريك حـياته فيحبه ويتزوجه؟ .

ولكننى (الدكـتور (ويليام زيهـيف) أعتقـد أن النظريات الثلاثة مـعاً تكون مجتمعة ومتضامنة، لدوافع الحب والاختيار والزواج.

ماذا تحب المرأة فى الرجل؟

بقلم الدكتور مانفريد دى مارتينو يقول:

إذا استطاع الرجل فعلياً أن يتعرف على طبيعة المرأة وأسرار جسدها، فإنه يستطيع بذلك أن يمنحها أقصى درجات الحب. هذا هو ما خرجت به من بحث ميدانى على عينة من ١٧٥ امرأة بينهن تفاوت جمالى وثقافى واجتماعى. وكان الهدف من هذا البحث هو وضع إجابة للسؤال الآتى:

ماذا يفعل الرجل حتى يستطيع كسب حب وإعجاب المرأة؟ وكانت الإجابة تقوم على النقاط الآتية:

١- يجب أن يستغرق الرجل وقتاً طويلاً فى مداعبة المرأة وملاطفتها. وأن يترفق ويتباطأ فى مداعبة المرأة بقبلة وفى بث شعوره الجميل فى أذنها. وأن يلجأ إلى التنوع فى طرق المداعبة وألا يعمد إلى استخدام طريقة واحدة ويركز عليها. ويجب على الرجل أن يختار الوقت المناسب لبث حبه لها والتعبير عنه فيتحاشى ذلك إذا كانت متوعكة المزاج أو منشغلة بأمر هام. وأن يكثر من حديثه عن الأثر الذى تركه حبه للمرأة فى نفسه، ويجب مراعاة كل ما تقدم خاصة قبل المشاركة الجنسية.

٢- يجب أن يقرأ الرجل كتباً ومؤلفات كثيرة عن فن المداعبة وأسرار نفسية المرأة ومشاعرها وأن يسأل المرأة عما ترغبه وما تستلطفه من أساليب المداعبة والملاطفة والتعبير عن المشاعر. ويجب على الرجل أن يحاول أن يصل إلى قمة التوافق الجنسى مع المرأة فى آن واحد. وأن يتعرف على التركيب الميكولوجى (النفسانى) للمرأة. وعلى الرجل ألا يعتقد أنه يعرف كل شئ عن المرأة من معلوماته الخاطئة المستمدة من الشارع. وأن يبتلع الرجل غروره كرجل وأن ينظر إلى المرأة على أنها شريك له نفس الحقوق من حيث نوعية الحق وعدده.

٣ـ على الرجل أن يراعى الاحتياجات العاطفية للمرأة وأن يعبر عن حبه لها وعن حبه للشخصيات المحيطة بها كالأقارب والمعارف وما تحبه هى من أمور وأشياء. وأن يجعلها تشعر بأنها مرغوب فيها من جانبه فى أى وقت وفى أى موقف. وأن يحاذر الرجل ألا يبالغ فى حبه للمرأة بحيث تشعر أنه يكذب ويتملقها. والرجل المتزوج ينبغى أن يمضى معظم وقته ويركز نشاطه فى المنزل بجوار زوجته وأن يصطحبها معه فى نزهاته ورحلاته كلما أمكن وحتى فى مهمات عمله ما أمكن. والمرأة عموماً تحب أن تشعر أنها ما زالت محبوبة ومرغوب فيها من جانب الرجل حتى بعد اللقاء الجنسى وألا ينام مباشرة إلا بعد أن يلاطفها ويتحدث معها حديث القلب للقلب. والمرأة تحب أن تسمع من الرجل كلمات المديح والإعجاب والكلمات التى تعبر عن كيف كانت رائعة معه وممتعة وأنه يشعر بأنها فى نظره سوف تظل رائعة مدى الحياة الزوجية.

٤ـ يجب على الرجل أن يتحقق من بلوغ الزوجة نشوة الحب. فالرجل اللطيف الرقيق هو الرجل الذى تفضله المرأة فيجب أن يتأكد من وصولها إلى القمة.



فى ليلة الزفاف

س- ما قولك يادكتور فى أهمية ليلة الزفاف؟

جـ- إنَّ الأهمية التى تضفى على ما يسمى ليلة الزفاف أهمية مبالغ فيها كثيراً وصحيح أن مظاهر الإرتباك أو الإنزعاج خلال التجربة الجنسية الأولى قد تجعل التوافق صعباً فى المستقبل، فالمرأة على الأخص، خليقة بأن تحس الخيبة من جراء هذه التجربة الأولى، وقد ترفض الاتصال الجنسى لفترة من الوقت، ولكن الواقع أن التجربة الأولى وحدها ليست هى المسئولة عن عدم التوافق، بل موقف الزوجين خلال الاتحاد الجنسى فى الأشهر أو السنوات الأولى للزواج. ويحسن أن يدخل المرء فى اعتباره أنه سيواجه شيئاً من الصعوبة أو الإضطراب فى البداية، وأن الصلات الجنسية الأولى قد لا تمنحه الرضا المنشود، فإذا حدث هذا فلا ينبغى له أن تتولاه الخيبة أو الهم، فتدريجياً ومع الفهم وازدياد الحظ من التجربة يمكن أن يبلغ الطرفان حياة جنسية راضية. وفى بداية الزواج، يصعب على أكثر النساء أن يستسلمن للعملية الجنسية إما بدافع التواضع والحياء، أو بسبب النشأة والتربية، ولكن الصلة الوثيقة التى تتوطد بين الزوجين فى فترة الخطوبة عادة ما تخلق إحساساً متبادلاً بالثقة يخفف من مقاومة المرأة للإتصال الجنسى، وقد يحدث أحياناً أن تستمر هذه المقاومة طويلاً بغض النظر عن حب المرأة ورغبتها فى الاستجابة لرغبتها الجنسية وقد يكون لها دافع جنسى قوى، ومع ذلك فهى تمتنع بدافع لا واع عن الإتصال الجنسى مما يجعل من العسير والحالة هذه، إتمام العملية الجنسية ولهذا يحسن بالزوجين أن يحيطا مثل هذا الموقف بالإدراك وحسن الفهم والصبر وعلى الأخص ينبغى أن تدرك المرأة أن معاونتها الصادقة شئ لابد منه لإتمام العملية الجنسية. فكثيرات من النساء يستجبن للعلاقة الجنسية المباشرة ويجنين الارتواء والرضا من الإتصال الأول،

ولكن نسبة كبيرة منهن لا يستـجبن للعلاقات الجنسية بحرية وانطلاق إلا بعد أن يحدث الاتصال الجنسى ويصـبح شيئاً معـتاداً. بل الواقع أن بعض النساء يستشعرن الخيبة المـريرة أول الأمر ففى خلال فترة الخطوبة قد تجنى المرأة اللذة من المداعبات الجنسية، ومن ثم تتـوقع أن يكون الإتصال الجنسى أكثر إرضاءاً فـإذا لم تجده كـذلك. إمَّا بسـبب الألم، أو الخوف، أو القـمع، أو قصـور الإستجـابة للإحتكاك المهبلى فإنهـا خليقة بأن تستـشعر الخيبـة، وأنه ليحسن بالمرأة ألاَّ تجعل نفسها فريسة للـحزن إذا لم تأت الصلات الجنسية الأولى كما توقعت وأملت، فإنَّ الرضاء التام قد يستغرق أسابيع أو أشهر. كما أنَّ الاتحاد الجنسى خليط من الـتجـارب البـدائية والعـاطفـية فـهـو ينطوى على الحس والعاطفـة، ولكى يصبح الإتصـال الجنسى أكثـر ارضاء للزوجيـن، ينبغى أن يبذل كل منهما مـا فى وسعه من جهد لفهم استـجابات الآخر، والتوافق مع حاجاته الجنسية، وأنْ ينمى فى نفسه ما يسمى فن الجنس... وهو فن خليط الصفات البريئة، والعاطفة التى يقتضيها الإتصال الجنسى.

والعمليـة الجنسية لا ينبغى أن تكون واجـباً ولا شيئاً روتينـياً وإنما تجربة مشتركة يحاول كل منهما فيها أن يجنى أكبر قدر من المتعة وفى هذا الصدد قال الطبـيب جايو منذ قرن مـضى ما أغرب مـتعة الإتصـال الجنسى! فهى أعظم عند الرجل إذا لمستهـا فى الرجل أى أن المتعة تزداد فى الرجل والمرأة حين تكون متبادلة بينهما وفن الجنس يستهدف هذا الهدف. وكثير ما يخفق أحد الزوجين فى مـراعاة المطالب العاطفية لشـريكه. فالزوج قد لا يدخل فى حسابه أن رغـبات المرأة الجنسية واسـتجابتها تخـتلف عنها فى الرجل، وتحتاج إلى تمهـيدات دقيقة حـساسة، والزوجة قـد لا تدرك رغبات الرجل الجنسيـة واستجاباته ومن ثم تخـفق فى التعاون مـعه، ومشاطرته العـملية الجنسية مشاطرة إيجابية.

ما هي أوصاف غشاء البكارة؟

يوجد في مدخل الجهاز التناسلي المؤنث غشاء رقيق صغير جداً يسمى (غشاء البكارة) وهو الذى يميز البكر عن الثيب ويكون على الغالب شكله كشكل هلال القمر من يومه السادس وله فتحة صغيرة لسيلان الدم، وقد تسمح هذه الفتحة بدخول الإصبع رغم وجود الغشاء، ولا يبعد غشاء البكارة عن سطح الجهاز التناسلى أكثر من سنتيمتر واحد أو أقل وإدخال الإصبع فيما بين الشفرتين يفضى إلى تمزق الغشاء غالباً وفض البكارة، وإذا أبعد الشفران شوهد الغشاء قريباً جداً من الفوهة، بل يمكن القول أن الفوهة مغلقة به لو صلح التعبير.

كيف يتمزق غشاء البكارة؟

بما أن أشكال الغشاء متعددة فإن من الصعب تحديد طريقة تمزيقه إذ قد يتمزق لمجرد إدخال الإصبع بين الشفرتين، ويترافق تمزقه بنزوله بضع قطرات من الدماء تنقطع بعد فترة من الزمن وقد يدوم تساقط الدم زمناً غير يسير وفى بعض الحالات يتطلب الأمر تدخل الطبيب لإيقاف النزيف، ومن الصعب معرفة ما إذا كان الغشاء سليماً أم لا من مجرد النظر ويستدعى الأمر إجراء فحص طبى يتم بواسطة الطبيب بصورة فنية.

ما هو البظر وما هو أهميته للعملية الجنسية؟

البظر هو عضو صغير ناعظ موجود فى أعلى الجهاز التناسلى المؤنث وكلمة (ناعظ) تعنى الضامر المسترخى، هذا العضو هو صورة مصغرة عن العضو التناسلى المذكر ويستطيل ويشتد أثناء التحسن الجنسى، ولهذا العضو

الأهمية الكبـرى فى نجاح العملية الجنسيـة لأنه مركز شهوة الأنثى غـالباً وقد يكون هذا العضـو ضخمـاً كبيـراً لدى بعض الفتيـات فى المناطق الحارة، مما يسبب عنه إعـاقة العمليـة الجنسية لـدى الزوج، ولذا يلجأ إلى إجراء عـملية الختان أو قطع مـا استطال من العضو، ويعانى بعض الأزواج صعـوبة جنسية فى مستهل حـياتهم إذ يحاولون عبثاً التـوصل إلى التوافق الجنسى فلا يصلون إليه، ويعود السبب فى ذلك إلى اعتياد الفتاة على نشدان اللذة بطرق سطحية بدغدغـة البظر دون أن تمس غشاء البكارة، فـتعتـاد أعضاؤها على الممـارسة السطحـية، وتؤذيها المقـاربة الجنسيـة الطبيـعية ويُنصح الزوج فـى هذه الحالة بمسايرة زوجته وأخذها باللِّين ريثما يصرفها إلى الطريق.

* * *

فـي الارتـواء الجنسـي

س ـ إذا كانت المرأة تستغرق وقتاً أطول للوصول إلى الارتواء فهل هناك وسيلة للتوفيق بين الرجل والمرأة في لحظة حصول الارتواء؟

جـ ـ تختلف النساء اختلافاً بيناً فى درجة استجابتهن الجنسية ومقدرتهن على بلوغ ارتواء مرضى. وفى بداية الزواج تكون رغبات المرأة الجنسية ما زالت نائمة، ومن ثم فإنها لا تستجيب إلا قليلاً للعملية الجنسية. على أن صعوبة بلوغ ارتواء مشترك فى تلك الفترة لا ينبغى أن يكون مصدر قلق للزوجين، فيحسن الفهم والصبر من جانب الزوج ليتسنى الوصول مستقبلا إلى توافق مرضى فى بلوغ الارتواء. . .

إما بالتغلب على فارق الزمن الذى يتطلبه كل من الرجل والمرأة لبلوغ الارتواء فميسور مع البراعة فى المداعبة وإحكام الاستثارة، والتغيير من الأوضاع التى تتخذ خلال العملية الجنسية فلا تلبث المرأة، بعد فترة، أن تبلغ من الإستعداد درجة تؤهلها لبلوغ الإرتواء فى اللحظة نفسها التى يبلغه فيها زوجها. . .

وهناك نساء يعجزن عن بلوغ الإرتواء مهما تظل فترة الإثارة، ولكن هذه مشكلة أخرى سنتحدث عنها بإفاضة فيما بعد.

س ـ ما هو بالضبط الارتواء؟

جـ ـ إنَّ التهيج الجنسى يخلق سلسلة من التغيرات فى كل جزء من أجزاء البدن تقريباً. فإذا اهتاج الرجل واهتاجت المرأة جنسياً، تسارع ضربات القلب، ويرتفع ضغط الدم، ويزداد اندفاع الدم إلى الأعضاء الجنسية، وهو يندفع فى حالة المرأة إلى البظر والشفرين الداخليين، وجدران المهبل، وحلمتى الثديين. .

وفى الوقت نفسه يشتد التوتر العصبى فيؤثر فى الجسم كله. . . . وباشتداد الإهتياج الجنسى، تشتد هذه التغيرات وتصبح أكثر اتضاحاً، حتى تأتى لحظة الاسترخاء المفاجئ، وتعرف هذه اللحظة باسم الإرتواء، ويصاحب لحظة الإرتواء عند الرجل إنزال السائل المنوى. فالقناة المنوية والحويصلات المنوية، والبروستاتة تتقلص بشدة فى هذه اللحظة وتقذف محتوياتها فى القناة البولية حيث تمتزج الإفرازات مكونة السائل المنوى. ويقذف السائل المنوى على دفعات نتيجة للتقلصات المنتظمة.

س- هل يشبه الإرتواء عند المرأة الإرتواء عند الرجل؟

جـ - لقد وضعت بعض النساء إحساسهن بهذه اللحظة بهذه العبارات:

إحساس بالإتمام . . رعدة تسرى فى البدن كله. . أمواج تتلاحق بعضها فى أثر بعض فى دوائر تتسع وتتسع.

أما العلامات البدنية للحظة الإرتواء فتتمثل فى سرعة النبض والتقلصات حول المنطقة الجنسية وأسفل البطن، وهى تقلصات مرتبة غير إرادية تتركز فى منطقة الأعضاء الجنسية، والمهبل، والبظر وقد تمتد هذه التقلصات إلى أجزاء أخرى من الجسم. .

وقد تكون هذه التقلصات من الشدة بحيث تحس بها المرأة، وقد تكون ضعيفة لا تحس بها المرأة إلا إحساساً ضعيفاً. . وتنتهى فترة الارتواء عند المرأة بأكثر بطأً وأشد تدرجاً مما تنتهى عند الرجل. وتخضع الإحساسات العاطفية والشبقية، كما يخضع السلوك خلال لحظة الإرتواء سواء فى الرجل أو المرأة، لعوامل فردية منها قوة الحساسية وشدة الإستجابة العاطفية. . . ففى بعض الناس تكون اللذة الجنسية ضعيفة نسبياً، وفى البعض الآخر ترتفع إلى ذروة عالية من النشوة البدنية والعقلية، وفيما بين هذين الطرفين تقع درجات عدة من الإستجابات الحسية.

س. ما هى الأعراض التي تلاحظ فى كل من جسمى الرجل والمرأة أثناء الجماع؟

جـ. إن الوظائف الجنسية أثناء المضاجعة هى وظائف غددية ووريدية وشريانية، وعضلية وعصبية، وهذا التقسيم صحيح إجمالاً فى الجسم كله. يزداد نشاط كثير من الغدد فى الجماع. وإذا تأخر بلوغ اللذة كثيراً توقف تدفق اللعاب الملين بشكل مؤلم وكلما ازداد الإقتراب من الذروة يزداد إفراز اللعاب حتى يلزم البلع بطريقة الانقباض والتقلص. وقد يزيد إفراز البول أثناء التهيج كما يزيد بأنواع أخرى من التوتر النفسى أما الغدد المفرزة للعرق فيكثر إفرازها فى اللحظات التى تسبق بلوغ الذروة، ويختلف هذا بالأشخاص اختلافاً ملحوظاً، والعرق يتدفق من الأبطين ومن تجاويف الركب فى النساء خاصة، ولا تحدث إفرازات أثناء الجماع وحده ولكن تحدث أيضاً خلال فترة الملاعبة.

كما يزداد نشاط الإفراز فى الجسم كله ويتعاون مع غدد الجلد فى جذب الحبيب وإثارته بالتأثير بواسطة الروائح. وقد أدركنا قوة الشم والروائح فى الإيحاء الحسى. وقد تحدث تغييرات أخرى فى الدورة الدموية، فتنقبض الأوعية الدموية الدقيقة، كما يحمر الجلد ويعقبه بعض الشحوب كما يعكر بياض العين، ويزداد ضغط الدم وضربات القلب فتصبح أشد وأسرع. وتتأثر كل هذه المظاهر أقصاها مباشرة قبل ذروة اللذة، وتستمر فى أثناء الذروة، وتبدأ بالإنخفاض حسب هبوط المشاعر والأحاسيس كما تضطرب الدورة الدموية اضطراباً كبيراً وتظهر فى التنفس أعراضاً غريبة، فحين تقترب أحاسيس النشوة تزداد سرعة تنفس الزوجين ويزداد اضطرابه، كما يحدث ما يؤخر الإحتراق الداخلى فيتراكم ثانى أكسيد الكربون فى الدم ومن مميزاته أنه ينشط أنسجة المخ التى تتحكم فى ضغط الدم وتدفعه. وبالتالى يؤثر فى الأنسجة والأوعية الدموية الخاصة بالأعضاء الجنسية فيزيد حجمها ويبلغ أقصاها حين بلوغ ذروة اللذة.

أمـا ازديـاد الدم فليس من العـوامل المسـاعـدة بل هو عـلى شئ من الخطورة، فكثـيـراً ما أحـدث شللاً فى الرجـال المتـوسطى السن من ذوى الأوعية الدموية الجامدة فى أثناء الجـماع. والعضلات تلعب دوراً هاماً لكنه دور معقد يحتاج إلى تعاون العضلات وانسجامها. فالأعمال التى تحدثها لا إرادية وبعضها يحدث آلياً أثناء الجماع، وهناك أعمـال خارجية متعبة تحدث شعورياً وتصـبح تشنجاً أو تقلصاً أثناء بلوغ ذروة اللذة أو قـبلها ومن أهم هذه الظواهر التـشنج فى العيـون والجفـون. وهى تميز ذروة التهـيج وهذه الظاهرة لا يخطئها الزوج فى زوجته.

وقد تحـدث آلاماً شديدة تشل الحـركة. خاصـة فى الفخذين والسـاقين لدرجة كبيرة.

وفى أثناء الجماع تتعاون العضلات غيـر الإرادية فى تأثير غير مباشر يؤدى إلى إخراج الغـازات من الأمعاء، وعدم التـحكم فى البول، وانقبـاض المثانة انقـباضـاً شديداً، وبالطبع لا يحـدث التـبول أثناء الجـماع لأن من طبـيعـة الإنتصـاب أن يعلق الجزء الأمامى من مـجرى البول. أما إذا ارتخى قـضيب الرجل، وهيجته يد بعد الجماع، فقد يحدث التبول قبل الإنتصاب.

أما فى المرأة فالأمر يختلف لأن تضخم أنسجتها المنتصبة لا يعوق التبول ولا يسـد المثانة، وإذن فـقـد يخرج البـول فى نقط صـغيـرة عند اشتـداد تهيجها. ولعل انقباض المثانة، يرجع إلى امـتداد التهيج من المراكز العصبية الجنسية إلى المراكز العصبية فى الأعـضاء المجاورة. فيؤثر التهيج الحسى فى الجهاز العصبى تأثيراً مباشراً، ويظهـر أعراضاً عامة كثيرة، فالأعراض التى تبدو فى الدورة الدمـوية والغدد تتـبع من أصل عصبى. والحـواس الخمس تتأثر جميعها تأثيراً شديداً، فـقلب العين يزيد تأثيراً بآشعة الضوء، ويتمدد إنسان العـين حين ينقل ذروة اللذة فيـتألم ألم شديداً إذا سلط عليـه ضوء

ساطع وتتعاون هذه الحساسية مع التشنجات العضلية فتحدث ما يبدو فى العين من إفصاح وتعبير وانفعال شديد تظهر أثناء بلوغ ذروة اللذة وتزداد حاسة الشم، كما تشتد أيضاً حاسة السمع.

ولكن أكثر الحواس تأثراً بالإنفعالات هى حاسة المس وهذا أمر ملحوظ أثناء التمهيد للإتصال، وتزداد حاسة المس تدريجياً حتى تبلغ أشد درجات الإرهاق. كما يظهر فى الجسم خدر تتميل له أصداء وانفعالات تزيد التهيج الحسى وتقويه وهو يظهر فى الأغلب فى الأعضاء الجنسية نفسها. ومع ذلك لا يخلو هذا الحال ولا يعير أى انتباه لما يحيط به من أشياء كانت تثير انتباهه فى الظروف العادية، فكأنما يصاب الإنسان أثناء التهيج الحسى بالعمى والصمم، فلا يعد يلاحظ من العالم شيئاً أو يسمع منه أى صوت وقد يقاسى أشد الضربات والآلام، ولكنه يتجاهلها لأنه لا يريد إعارتها أى اهتمام. وحتى لو زاد إحساسه بالآلام نتيجة اشتداد مشاعره الحسية اشتداداً وقتياً، فإنه يتعمد شل شعوره نحوها، لأنها قد تؤخره عن بلوغ هدفه الذى يجذب كل قواه، وباقتراب لحظة النشوة المنتظرة، تزيد درجة الجاذبية والسحر البدنى، وتفيض الألوان بالحياة. . فتكبر العينان ويشتد تألقها، وتشتد عضلات الوجه، ولذا تزول التجاعيد والخطوط من وجوه الرجال المتوسطين فى السن، الغارقين فى الهم، كأن الشباب قد عاد إليهم. وتستمر هذه القوة العابرة لحظات قليلة ساحرة. حتى تقبل ذروة اللذة فتظهر مزايا الجنس: قوة فى الرجل، ونعومة ورقة وتعبيراً فى المرأة. إن الاتصال الحسى العادى متعب، لا يسبب إجهاد العضلات ولكن لكثرة ما يتطلبه من الأعصاب. والإرتخاء المفاجئ بعد التوتر الشديد لا يحدث تعباً فقط، بل يؤدى إلى درجة من الإجهاد كالتى تلقاها فى سائر الوظائف. ولا سيما العقلية والنفسية. وكلما ازداد التوتر اشتد هبوطه المفاجئ، واشتد الإجهاد والإعياء ولهذا نلاحظ أن الجماع المقصود به مجرد التفريغ البدنى والذى لا تصحبه المؤثرات المهيجة

يكون إجهاداً لمدة قصيرة من جماع بين زوجين متحابين يشتركان فيه بروحهما وبدنيهما، ويساهمان فيه بالفن الرفيع واللذة الطاغية القصوى.

(وهذا ما يفسر العامل الأول). وهو النادر أن يصبح التعب مـؤلماً فالشعور المسيطـر بعد الجمـاع هو شعـور ناعس يدفع إلى الاسترخـاء ولكن إذا أرهق الجسم إرهاقاً كـبيراً وذلك بتكرار الجمـاع، فسرعان ما يـشعر الرجل أو المرأة بالإرهاق والتعب، بل حتى أنه يشعر بانهيار نسبى ويعزى هذا إلى ما يحتاجه الرجل خاصة من بذل المجهود الكبير فى الجماع.

ويمكن أن يحدث الإرهاق ضـرراً ملحوظاً، وذلك حين تجتـمع المقومات كأن يطالب رجل ضـعيف أو مريض بتـأدية حركات عنيـفة زائدة. ومع ذلك فالغالب أن النشاط الحسى المعتدل لا يؤذى أحداً ولو مريضاً. وللاتحاد الحسى تأثير مباشر على نفسية الزوجين وجسميهما خاصة حين يعقبه فترة من الراحة القـصيرة فـينشأ من جـراء ذلك نوع من الشـعور بالرضـا والهدوء الجـسدى والنفسى وأعظم متعة يتمتع بها الزوجـين هى فترة الراحة والتأمل بعد الجماع وهذه اللذة العظيمـة التى يستمتـع بها الزوجان وقت بلوغهـما الذروة فلذات هذه الفترة تربط الزوجـين. إذ يتعانقا جنباً إلى جنب، فتـروى أحلام اليقظة أفكارهما وتلتقى روحاهما وتتحدان، فى فترة ما بعد النشوة.

س- هل يستطيع الزوج أن يعرف متى تهيأت زوجته للعملية الجنسية؟

جـ- نعم. فى وسعـه أن يتعرف على العلامـات العاطفية والبدنـية بظهور إفراز مـخاطى حول الأعـضاء الجنسيـة والبدنية الـتى تبدو على زوجتـه متى تهيأت للاتـصال الجنسى. ومن العلامات البـدنية ظهور إفراز مـخاطى حول الأعضاء الجنسية الخارجية تفرزه غدتا بارثولين، ويحسن هنالك الإنتظار حتى تبلل هذه الإفرازات منطقة الأعضاء الجنسيـة كلها فهذا يجعل الإتصال أيسر، وفى الأيام الأولى للزواج، يمنـع التوتر، والخـجل، والقلق من ظهـور هذه

الإفرازات ومن ثم يحسن عندئذ الاستعانة بالأدهنة المعقمة تسهيلاً للإتصال الجنسى، وتمهيداً لبلوغ إرتواء أكثر إرضاء.

س- هل يصاحب عند المرأة قذف إفرازات معينة؟

جـ- إن قذف السائل المنوى للرجل خلال الارتواء الجنسى جزء أساسى من العملية الفسيولوجية للتناسل، أما المرأة فلا تقذف خلاياها الجنسية خلال الإتصال الجنسى، ومن ثم فهى لا تقذف أية إفرازات خلال العملية الجنسية. أما البلل الذى تحس به خلال العملية فناشئ عن إفراز غدتى بارثولين فى الأعضاء الجنسية الخارجية. ويزعم البعض أن الرحم يقذف بإفرازات معينة إلى المهبل عند ذروة العملية الجنسية، ولكن حتى إذا كان هذا يحدث فإنه لا المرأة ولا الرجل يحسان بحدوثه.

س- هل من وسيلة للتوفيق بين عامل الوقت عند الرجل والمرأة مادامت المرأة، على عكس الرجل، أبطأ استثارة واستجابة؟

جـ- إن هذا التوفيق ممكن وميسور، مع الفهم، والتعاطف المتبادلين ومع المجهود الواعى من جانب الرجل لكبح نفسه انتظاراً لتأهب المرأة... فلكى يحقق الإتصال الجنسى المتعة والرضاء، ينبغى أولاً أن تستثار الإحساسات الشبقية للمرأة وتخلق عندها الرغبة فى الإتصال.

وعلى عاتق الزوج تقع مهمة استثارة زوجته وخلق الرغبة فى الاتحاد الجنسى فى نفسها. ولخلق هذه الرغبة تحتاج المرأة إلى فترة من المداعبة والغزل واللمس والفم والتقبيل قبل أن تصبح متأهبة بدنياً للعملية الجنسية.

س- ماهي فترة الملاعبة بعد الجماع؟

جـ- لهذه الملاعبة أهمية كبرى فى العلاقات الجنسية، ومن المؤسف أنها لا تنال إلا الإهمال، فمن عادة كثير من الأزواج أن يتباعد بعد الجماع مباشرة،

ولا سبب لذلك إلا الجـهل أو الإهمال، فـيدير الرجل وجهـه ويستـغرق فى النوم بينما تشعر الزوجـة بهبوط تلهفها الجنسى تدريجياً، فـيحرم الزوج نفسه من أعظم الفترات العاطفية، كما يفسد على زوجـته استمتاعها بمشاركته تلك اللحظة وحنانها الجمـيل، وحاجتها الأكيدة إلى المداعـبات والقبل والكلمات الحلوة التى تطلبها المرأة أكثر من الإستمتاع الجسدى.

س- إذا كانت الزوجة لا تصل إلى النشوة فهل العلة فيها أم في زوجها؟

جـ- هى أساسـا فى زوجهـا وقد يرجع هذا إلى إرهاقه فـى العمل أو فى عقدة نفسية ترسبت فى نفسيته مؤداها أن الجنس جرم يجب الابتعاد عنه.

س- ما الحل لمشكلة الزوجة التي لا تصل إلى النشوة؟

جـ- الحل هو أن يسـاعد الزوج زوجـتـه على الوصول إلى النشـوة يدوياً، وذلك بأن يدلك أعضاءها التناسلية الخـارجية البظر والفرج لمدة طويلة قبل الإيلاج.

* * *

الأســـرة

قبل أن نتكلم عن الأسرة: نتكلم أولاً عن الأهداف والمهام التى من أجلها خلق الله تعالى الإنسان وأوجده فى هذه الحياة، وهى خمس إليك بيانها: -

١- **الخلافة:** ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة: ٣٠).

٢- **العبادة:** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦).

٣- **العمارة:** ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود: ٦١).

٤- **الدعوة:** ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

٥- **الشهادة:** ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

١- **مهمة الخلافة:** لمهمة الخلافة صلة أساسية بعلاقة الرجل بالمرأة: إذ بها يتحقق حدوث الخلافة. ونقاط البحث هنا تدور حول الأمور اللازمة لحدوث الخلافة مما يخص علاقة الرجل بالمرأة.

ويلزم لتحقيق الخلافة ثلاثة أشياء هى:-

١- حفظ النسل واستمراريته.

٢- وجود أسباب تحبب فى النسل وتجمع الرجل والمرأة.

٣- وجود الإستقرار فى حياة الرجل والمرأة.

وبداية الخلافة الأصل فيها خلق أدم عليه السلام يحمل خاصيتين، الطين، ومنه الهيكل وبنيه الجسد. والروح: وهى نسمة الرب سبحانه ونفخته فيه لقوله عز ثناؤه: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (ص: ٧١-٧٢) هكذا صنعة الرب سبحانه وتسويته فى أبى الخليقة الأول نسل الإنسان وسلالته آدم عليه السلام. وآدم الإنسان الأول صنعه الحق تعالى بيديه وسواه وأودع فيه من سره المكنون وهو النفخة فيه من روحه تلكم النسمة الربانية التى لم تتكرر وكلما تَكَوَّن جنين فى بطن أمه سرت له نسمة جزئية من تلك النسمة الأولى وإلى أن يرث الحق تعالى الأرض ومن عليها. فالإنسان الأول آدم عليه السلام طبيعة خلقه وتكوينه الجسدى هيكل من طين والروح نسمة الحياة وسر المعبود عز شأنه سر الحركة للإنسان والوجود. وبذلك نعلم أنه خلق بلا أب ولا أم. ويعتبر هذا هو الطور الأول فى أطوار الخلافة ثم تلا ذلك اشتقاق حواء من آدم عليه السلام وهى الشق الثانى من مقومات الخلافة وإيجاد النسل وحفظه واستمراريته.

خلق اللّه تعالى آدم كما بينًا ثم حواء اشتقاقاً من داخل جسده فهى الشق الثانى لآدم دل على ذلك قول الحق تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (النساء: ١) خلق آدم ومن آدم خلق حواء.

ولعل هذا بعض معنى حديث الرسول الأعظم محمد ﷺ: **«أيها الناس إن ربكم لواحد وإن أباكم لواحد كلكم لآدم وآدم من تراب»**.

وفيه توبيخ للمتكبرين والمعاندين وتذكير بحال النشأة الأولى عظة وعبرة للموحدين فالأب آدم ومنه خلقت حواء وآدم من تراب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ (الحج: ٥).

فمن يتيقن حقيقة البداية وعلم مصير النهاية أنَّى يتكبر أو يتعالى على الخلق ويتجبر... ورحم اللّه تعالى الفاروق عمر بن الخطاب يوم أن قال لأبى عبيدة بن الجراح: أنا لا أبالى مقالة الناس، أليست البداية نطفة قذرة والنهاية جيفة قذرة، والإنسان بين الاثنتين حامل العذرة. يقصد البول والغائط، إنه قانون البشر الذى وضعه رب القدرة عز وجل فلا يوجد إنسان

لا يأكل ولا يشرب ولا يُخْرِج وهو أبلغ رد لعمرﷺ. حين جاءت القسمة لغلامه فى الركوب على البعير موافقة لدخوله الشام قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين يجب أن تكون القسمة لك عند الدخول، ولا أريد أن يراك الناس هكذا تسحب البعير بالغلام الخادم فقال عمر رحمه الله قولته المشهودة: أنا لا أبالى مقالة الناس فإن الله تعالى قد أعزنا بالإسلام. «وذكر بالبداية والنهاية»، وبحال الإنسان بين الاثنتين. فالأصل فى السلالة، الخليفة الأول آدم عليه السلام ومن آدم خلقت حواء ثم تلا ذلك الإنتقال إلى الطور الثانى فى حفظ السلالة واستمرارية حفظ النسل عن طريق التجانس بالتقاء الزوجين يتم الحمل بقدرة المالك المقتدر جل شأنه فى قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٨٩).

وبهذا تم الإنتقال لإيجاد النسل وحفظه كما أسلفنا ويجمع أطوار التكوين وانتقاله قول الحق عز شأنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤).

وبذلك عرفنا كيفية الإنتقال وكيفية استمرارية حفظ النسل للسلالة الإنسانية فالإنسان منه نوعان رجل وامرأة ولكل منهما مهمة فى الحياة وهما ليسا متعاندين ولا متعارضين وإنما متكاملين وحين ينظر الإنسان نظرة تأمل فى الأوضاع العضوية التى تفرق بين تكوين الرجل والمرأة ولا سيما فى وظيفة الرحم فإنه بصفة قاطعة أن الطبيعة لم ترد بشئ من هذه الفروق الأصلية ليقضى الزوجان أى لذة جنسية بل أرادت ضرباً من التكاثر يستمر به بقاء النوع البشرى للحكمة التى أرادها العلى الكبير عز شأنه من خلقه. أما اللذة الجنسية فليست من مقصود طبيعة التكوين فى هذه الفروق وإنما أريدت ليساق بها الإنسان إلى تحقيق مراد الخالق سبحانه وهو استمرارية النوع وحفظ النسل

حتى تتحـقق الخلافة فى الأرض كما أرادها عـز وجل وهذه قواعد فطرية لم تتغـير منذ أن خلق اللّه تعالى الإنسـان ولن تتغيـر حتى تقوم السـاعة وهى: ﴿ألم يكُ نُطْفَةً مّن مَّنيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ منْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَر وَالأُنثَىٰ﴾ (القيامة: ٣٧-٣٩).

﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠). ونلاحظ أن الحق تعالى قدم النهى عن الزنا على النهى عن القتل فقال سبحانه: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ٣٢) ثم نهى سبحانه عن قتل النفس إلا بالحق فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٥١). دلالة على فظاعة قبح بشاعة الزنا، فإن الإنسـان بالقتل يقتل نفساً، أما بالزنا أنفس وأجـيالاً لا تحـصى وتتـحلل الدماء والعـصـابات، وتحلل الرابطة بين الأحساب فى القـبائل والعائلات، وتحلل الأخلاق والقيم فى المجتـمعات، إذ يرث ولد الزنا غير أبـيه، وينسب إليه ظلماً، فضـلاً عما فيـه من وباء انتشار الأمراض والفيروسات الفتاكة بين الزناة، وانتهاك الحرمات وكشف العورات، فهـو جريمـة بشعـة بكل مقـاييـس الأخـلاق فى جميع الأمم على اخـتلاف دياناتهم، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: «**الولد للفراش: وللعاهر الحجر**» والمعنى: أن الولد ينسب لأبيه الذى يولد على فراشه فى بيته الذى يعاشر أمه معاشرة زوجية فى حلال كما بينَّا. ولقد قرر التنزيل أن الغاية من المباشرة الجنسـية ليست تحصيل الشهوة، وإنما إنجـاب النسل، فى قوله عز ثناؤه: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (البقرة: ١٨٧) أى باشروهن ابتغاء ما كتب اللّه تعالى، لكم من النسل، إن اللّه تبارك وتعالى، سلط على الخلق شهوة، اضطرهم بها إلى الحراثة جبراً واستبقى بها نسلهم، وجعل ذلك ضمن إطار الأسرة فى عـلاقة بالحلال. تعرف بالعلاقـة الزوجية: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣). ونبذ الحق تعالى، الزنا ونهى عنه وأسماه بالفاحـشة، فى قوله عز ثناؤه: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً

وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ (الإسراء:٣٢) وقد جاء نهى الحق تعالى، عن الزنا، مقدم على نهيه سبحانه، عن القتل فى سياق آيات التنزيل، فبعد أن نهى سبحانه عن الزنا نهى عز ثناؤه عن القتل فى آيتين متتابعتين فى سورة الإسراء وهو تأكيد على قوة الرابطة الزوجية الحلال، إذ يولد الولد فى بيت أبيه على الفراش الذى يأوى أمه وأسرته، على مرأى ومسمع من الجمع على العكس من ولد الزنا، وللعاهر الحجر، أى الزانى يرجم بالحجر حتى الموت إذا كان محصناً. وفيه معنى، أن الزانى له الخيبة، فكم يتعلق بالزنا من عار وأضرار، لا يفى الزنا بعشر معشارها، فبلذة لحظة، يغفل فيها القلب عن ذكر الله عز وجل ويغيب الضمير عن استشعار عظمة الخالق عز وجل، ونسيان أنه رقيب، وهذه اللذة القليلة تجلب على الزانى القتل رجماً بالحجر، وهتك العرض بين الناس، وكشف العورات المحرمة، وخيانة أخيه المسلم فى زوجته، إن كانت الزانية متزوجة، وفضيحة المزنى بها وهى كأخت له أو بنت، فإن حملت منه ولها زوج ألحقت ولد الزنا بذلك الزوج وكان الزانى بزناه سبباً فى ميراث من لا يستحق ومنع من يستحق.

ولولا تركيب الشهوة، لم يقع الوطء (الجماع) لأنه التقاء عضوين قبيحين غير مستحسنين فى الصورة، فلا صورتهما حسنة، ولا ريحهما طيب، وإنما الشهوة تغطين الناظر ليحصل الولد، أصلاً دون النظر فهى أمر عارض يتحقق بها الولد فى الحلال والحرام، أعنى فى علاقة شرعية بالزواج وهو الحلال أو فى علاقة خبيثة بالزنا وهو الحرام ولكن الولد يختلف فى الحالين ففى الحلال تقر عين الأبوين سعادة وفرحاً على رؤوس الأشهاد. أما فى الحرام يعلو وجه الزانى الذلة والخزى والعار والمهانة والعذاب الدنيوى بالرجم إذا كان محصناً أو الجلد لغير المحصن. والفضيحة بين القوم ولعذاب الآخرة أبقى وأشد. وشتان بين النوعين، فمن طلب الشهوة ونسى جريمة الزنا فقد أخطأ فى التقدير ولم ير الأشياء على حقيقتها وصدق الحق تعالى إذ يقول: ﴿ الزَّانِي

لا ينكح إلاَّ زانيةً أو مشركةً والزَّانيةُ لا ينكحُها إلاَّ زانٍ أو مشركٌ وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين﴾ (النور: ٣).

أى أن الزنا لا يصدر إلا من مشرك أو مشركة لأنه لا زنا مع الإيمان ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن.

والأسرة في الإسلام لا تخرج عن نوعين:

١- **أسرة مصغرة:** وتقوم بنيتها على زوج وزوجة، مادة بناؤها الطمأنينة والمودة والرحمة وقد أرشد الحق تعالى، إلى هذا جميعه فى قوله سبحانه: ﴿ومنْ آياته أنْ خلقَ لكم مِّنْ أنفُسكُمْ أزْوَاجًا لِّتسْكُنُوا إليْهَا وجعلَ بينكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إنَّ في ذلكَ لآيات لِّقَوْمٍ يتفكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) فالسكنى فى الآية الكريمة، بمعنى الطمأنينة أى يطمئن كل منهما للآخر. وتعرف الأسرة التى قوامها زوج وزوجة بالأسرة الصغيرة.

٢- **أسرة مكبرة:** وتقوم بنيتها على جد، وأبناء، وأحفاد، وهى المرتبة التى تنشأ عن الأسرة الصغيرة: الزوج والزوجة.

ومن خلالها تنشأ السلالة وتتابع جيل يخلف جيلاً يعرف هذا التتابع بالأبناء والحفدة وبهما تتحقق الأسرة المكبرة فيما قرره القرآن العظيم عن حال الأسرة الكبيرة قول الحق عز ثناؤه: ﴿وجَعَلَ لكُم مِّنْ أزْواجِكُم بنين وحفَدَةً﴾ (النحل: ٧٢). وما تلبث الأسرة الكبيرة إلا وأن تصبح قبيلة ثم شعوباً وهكذا يحفظ الحق تعالى النسل وباستمراريته تتحقق الخلافة فى الأرض ويضع الحق سبحانه معيار التفاضل بين الخليقة عامة بعد أن بين لهم أصل السلالة بقوله عز شأنه: ﴿يا أيُّهَا النَّاسُ إنَّا خلقْنَاكُم مِّن ذكرٍ وأُنثَىٰ وجعلناكُمْ شُعُوبًا وقبائلَ لِتعَارفُوا إنَّ أكْرمكُمْ عِندَ اللَّهِ أتقاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣).
ولم يقل أقواكم أو أغناكم وإنما أتقاكم.

بذلك كان حفظ النسل واستمراريته وهو الشطر الأول من لوازم الخلافة والذى الأصل فيه زوج وزوجة، أسرة صغيرة.

ويعتبر حفظ النسل واستمراريته عن طريق الزوجين النطفة هو الطور الثالث من أطوار تكوين الإنسان فالطور الأول خلق آدم عليه السلام من عنصرى التراب والروح نسمة الحق تعالى، ونفخته فيه ثم الطور الثانى، اشتقاق حواء من آدم ثم الطور الثالث التقاء الزوجين وهكذا: ـ

والإسلام الحنيف دين الفطرة يدعو الإنسان إلى النظر والتأمل بعناية فى ازدواجيته الجسمية أعنى المادية الطين والمعنوية الروح.

ومن خلال دراسة النفس الإنسانية، من جانبيها المادى والروحى يتبين أولوا الألباب عظمة وقدرة ووحدانية العزيز الوهاب.

وقد خلق الحق تعالى الإنسان فى أحسن تقويم وكرمه على سائر المخلوقين بوحى العقل وبنور العلم وجمع فى تكوينه البديع عنصرين هما عنصر الطين وعنصر النطفة وجعل منهما انتشار نسل السلالة البشرية فيما قرره التنزيل عن كيفية أطوار الخلق قول الحق عز ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٢) الطور الأول.

وعن كيفية الانتقال إلى الطور الثانى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ (المؤمنون: ١٣). أما عن كيفية انتشار السلالة واستمرارية حفظ النسل، وبه تتحقق الخلافة قال عز شأنه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ (الروم: ٢٠).

وقد قرر التنزيل أن الحق تعالى، أحسن خلق كل شئ وبداية الإنسان وكيف حفظ نسله وسلالته قوله سبحانه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (السجدة: ٧-٨).

بداية الأسرة في الإسلام

بداية الأسرة الإسلامية هى زوج وزوجة أصلها الطمأنينة رابطتها المودة والرحمة فيما قرره القرآن العظيم عن حال العلاقة بين الزوجين وما ينبغي أن تكون عليه قول الحق عز ثناؤه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم: ٢١).

وقد أرسى الحق عز شأنه، قواعد هذه العلاقة بحكمة ودقة متناهية في منهجية قرآنية ربانية واضحة البيان بقوله عز ذكره: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

وهذه الأسس الربانية: هى أصل العلاقة فى المعاشرة الزوجية.

وواجب الرجل (الزوج) أن يعرف أن المرأة (الزوجة) خلقت من ضلع من أضلاع آدم لتكون جزءاً منه، تكمل به، ويكمل بها، وهذا الضلع أقرب ما يكون من القلب، وهو المكان الطبيعى للوجه فعليه أن يعاملها بقلبه وليس بعقله إذ إنه لو عاملها بعقله لأتعبها وأتعب نفسه فالقلب منبع العاطفة وهى الرباط الأقوى بين الرجل والمرأة فالحب والمحنة والعطف والمودة جميعها ينبوعها القلب وعلى المرأة أيضاً أن تعرف مكانها من زوجها فتتقرب إليه من خلال أحاسيس مشاعره القلبية وقد أوصى الرسول الأعظم محمد ﷺ: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة اللّه، وسنة رسوله، لا تضربوا الوجه ولا تقبحوه»**.

ومعنى كلمة عوان أى أسرى وقد أوصى الحق تعالى بالأسرى خيراً وأوجب الإحسان إليهم ومدح المحسنين وأثنى عليهم فيما سجله القرآن العظيم عن حال الأبرار وإطعام الطعام للأسير منه أى جزئية من حال الأبرار وفعل من أفعالهم بقوله سبحانه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان: ٨).

وتوعدهم بالوقاية من شر هول يوم القيامة وبالنضرة على وجوههم والفرحة تعلوها بسمة على شفاههم فى قوله عز شأنه: ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (الإنسان: ١١). هذا حالهم مع الأسرى الأعداء فكيف الجزاء إذا كان الأسير حبيباً وليس عدواً.

واجبات الزوج نحو زوجته

المعاشرة بالمعروف لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (النساء: ١٩).
مع العناية بما يوفر لها حياة كريمة وهو ما يعرف بمقومات الحياة الزوجية وهى خمسة: ـ

١ـ مسكن .

٢ـ مأكل .

٣ـ ملبس .

٤ـ جماع .

٥ـ رعاية صحية جودة الغذاء وتوفير الدواء إن لزم.

وهناك الغذاء الروحى فضلاً عن الغذاء الجسدى، فالغذاء الجسدى طعام أما الغذاء الروحى فهو الجميل والطيب من الكلام فضلاً على بشاشة الوجه وحسن الابتسام على العكس من البشاعة والكآبة فهما أساس هدم كل بنيان ويبدلان بيت الزوجية بالخراب بعد العمار.

وليعلم الرجل أن إنفاقه على زوجته صدقة له به الأجر والثواب من اللّه عز وجل لقول رسول الإنسانية محمد ﷺ : «**حتى ما تجعل في فم امرأتك**» ونص الحديث فى «**في امرأتك**» فخشيت أن يلتبس الأمر على القارئ، فكتبته هكذا «**في فم امرأتك**».

ومن الثابت أن المرأة بطبيعتها لا تمل من كلمات الإعجاب مهما تقدمت بها السن وعلى الرجل أن يشبع رغبتها فيما أحل اللّه تعالى له فى غير منكر أو محرم، كإتيانها فى دبرها أو الجماع فى أيام الحيض وما إلى ذلك: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

وفى بيان كيـفية التعامل بين الزوجين لتـحقيق السعادة الزوجيـة بينهما بما يتناسب مع قوله عز ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

ولتحقـيق الحد الأعلى من المتعة التى هى دعـامة الاستقرار والإسـتمرارية وبها أيضاً يقدر الرحمن سـبحانه ويقرر تكوين النطاف فى الأصلاب والأجنة فى الأرحام فـيأمر سـبحانه الأزواج أن يقـدموا لأنفسـهم بقوله: ﴿وَقَدِّمُوا لأَنفُسِكُمْ﴾ (البقـرة: ٢٢٣). وهى التهيـئة المعنوية والإعداد النفـسى قبل تمام العملية الجنسية فكلا الزوجـين مطالب أن يقدم للآخر الركن المعنوى والراحة النفسية والإنـسجام الروحى من معين لا ينضب جعله الحق تعـالى بينهما هو المودة والرحمة: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

فإذا تمـت العمليـة الجنسيـة مسـبوقـة بالتقـديم، وهو الإعداد النفـسى والروحى، التهيئة المعنوية والعاطفـية كل من الزوجين للآخر. يترتب على ذلك أمـر من أمور الخلق والتـخلق للنطفـة والجنين وهو مـا يبينه حـديث الرسول الأعظم محـمد ﷺ بقوله: «**إذا علا ماء الرجل مـاء المرأة يقول اللّه تعالى لملك الأرحام ذكر وإذا علا مـاء المرأة ماء الرجل يقول اللّه تعالى لملك الأرحام أنثى**».

ومن فطانة النبوة أيـضاً ولبيان أهـمية التقـديم النفسى بين الزوجـين يقول ﷺ فى حديث آخر: «**لا تأتوا نساءكم كما تؤتى البهائم**».

فسبـحان من أبدع الخلق بحكمتـه وجعل لكل شئ سبباً بقدرته: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨).

وأطوار الأسرة بدايتها، زوج وزوجة فمـا تلبث إلا وتصبح بنين وحفدة وصدق الحق تعالى إذ يقول: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ (النحل: ٧٢).

وما تلبث الأسـرة بهذا الترتيب إلا وتصبح شـعوباً وقبائل فـتكتمل أطوار الخلافة بذلك وتبلغ فى مجموعها خمسة وهى على الترتيب كما يلى:ـ

١ـ زوج وزوجة.

٢ـ بنين.

٣ـ حفدة.

٤ـ شعوباً.

٥ـ قبائل.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾

(الحجرات: ١٣).

ولا تزال الأسر تختلف فى مسميات الأحـساب وأرفع الأنساب فقال عز شأنه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ (الحجرات: ١٣). ولم يقل أقواكم وأغناكم.

وصلاة وسـلاماً على معلم الإنسـانية رسول الرحـمة محـمد ﷺ الذى وهبه الحق تعالى من الحكمة أنواراً وكشف له من حجب المعرفة أستاراً فأضاء الدجى، وأشاع الهدى فاستنار بهديه الأبرار.

ولا شك فى أن العلاقـة الطيبـة بين الزوجين تأتى ثمـارها طيبـة والزوجة الصالحة هى حسنة الدنيا والآخرة وبها العفة والقناعة وهى المدرسة الأولى فى تربية أبنائهـا على الفضائل وغرس المكارم فى الأخـلاق والصفات: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١).

ولا يغيب عنا، أن الثمر من نوع الشجر والجزاء من جنس العمل.

* * *

القنـاعـة والعفـة

القنـاعـة: مثل الرضا إلا إن الرضا تسليم والقناعة غنى.

فمن يقنع بما رزقـه اللّه عز وجل فهو أغنى الأغنيـاء والقناعة فضيلـة محاطة برذيلتين هما الطمع، والجشع، والجشع هو الشراسة فى الطمع والقناعة ضدهما ومن ثمراتها أنها تورث صاحبها الزهد والطمأنينة والثقة بنفسه نابعة من ثقته بربه أنه تعالى مـبدع الأكوان وخالـق الإنس والجان ومقدر الأرزاق والآجـال وجعل الأنفاس مـعدودة فى أماكن مـحدودة لقـوله عز ثناؤه: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ (مريم: ٨٤). وجعل الأجل محتـوم والرزق مقسوم والحال لا يدوم والكل يفنى ولا يبقى إلا اللّه الحى القيـوم فمن وقر فى قلبه هذا اليقـين قنع بأن أمره ورزقه بيد القوى المتين: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨).

تحت قاعدة: «من كان رزقه على اللّه فلا يحزن».

فمن وهبـه الحق تعالى القناعة لو أن الدنيا بزخـارفها التفت حـوله ما نظر نحوها ولا التفت إليها لأنه مات فيه بالقناعة هواها، أعنى هوى الدنيا. فقال رسـول اللّه ﷺ: وهو فـرح ومسـرور «**الحـمـد للّه إنني لأرجـو أن يموت جمـيعـاً**». فقـال رجل: أو ليس الرجل يموت جـميعـاً يا رسول اللّه فـقال ﷺ: «**تتـشعب أهواؤه وهمـومه في أودية الـدنيا فلعل أجله أن يدركـه في بعض تلك الأودية فلا يبالي اللّه عز وجل في أيها هلك**».

ومعنى أن يمـوت جميـعاً أى قلبه عن جـميع شهـوات الدنيا وزخارفـها وعرضها الزائل.

والخلاصة: أنه ليس الغنى عن كثـرة العرض وإنما الغنى غنى النفس وغنى النفس هو قناعتها بأن رزقها على خالقها اللّه عز وجل والقناعة كنز لا يفنى.

ثانياً: العفة

العفة: هى اجتناب الرذائل والرفعة والتنزه عن النقائص وضدها الدناءة. والعفة فضيلة محاطة برذيلتين أيضاً، هما: الدناءة والفتور، فإنْ أسرف فيها صاحبها وصل مرتبة الفتور وإن أحجم مال إلى الدناءة.

ومن ثمراتها أنها تورث صاحبها الورع والحياء مما يرفع قدره عند الخلق وعند الحق عز ثناؤه وهى ثمرة تنشأ من حقيقة الإيمان فتكسو صاحبها حلل الثناء وسرعة إجابة الرجاء. فالعفيف يجتنب ما حرم اللّه عز وجل ويكبح جماح النفس فيصدها عن هواها ويمنعها من شهواتها فيسعد بصدق الرجاء وحسن الجزاء يوم اللقاء عند خالق الأرض والسماء.

وقد أمر الحق تعالى أحبابه الأبرار بالتعفف فى قوله عز ثناؤه: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور: ٣٣).

وما حكاه القرآن العظيم عن حال قوم من شدة عفتهم مع شدة حاجتهم وفقرهم حياء من ربهم حتى يكاد من لا يعرفهم يظن أنهم أغنياء لشدة تعففهم فى قوله عز ثناؤه: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (البقرة: ٢٧٣).

والجاهل: أى الجاهل بمعرفتهم من قبل فهو لا يجاورهم ولا يعرفهم قد يخيل إليه حينما يراهم لأول وهلة أنهم أغنياء من التعفف.

فما أسعد من ملك عنان نفسه، وقبض على زمامها فإنه يأمن من الوقوع فى مهاوى الردى ومواطن الهلاك وما أشقى من ترك لنفسه العنان ففتحت عليه باب المعاصى على مصرعيه وغرقت فى شهواتها ولذاتها الزائفة فله سوء المنقلب ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: ٢١).

وفى فضل العفة قال رسول اللّه ﷺ : «**من طلب الدنيا حلالاً بعفاف كان في درجة الشهداء**» .

وقال ﷺ : «**عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم**» .

والعفة تسبب العزة لقوله ﷺ : «**ما زاد اللّه تعالى عبداً بعفة إلا عزاً**» .

والعـفة كبح جـماح النفـس عن شهـواتها الرديئـة، وعدم السـير وراء أطماعها الدنيئة.

وهذا ما أنعم الحق تعالى به. ونعم الخالق سـبحانه لا تحصى. وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

خادم القرآن والعلم

محمد محمود عبد اللّه

مدرس علوم القرآن بالأزهر الشريف



الفهــرس

الموضـــوع	الصفحة

* * *